الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

كلية الآداب والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

العمارة الأندلسية في شعر ابن خفاجة

مذكرة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص: أدب وحضارة

إعداد الطالبة:

- بونوار سميرة

إشراف الدكتور:

-رضوان لحسن

السنة الجامعية :

1437/1436 هـ

2016 / 2015 م

شكر وتقدير

قال تعال :﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾. [النمل الأية 19].

من الواجب أن يُسنَد الفضل لأهله لذا أجد لزامًا عليّ أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم

الإمتنان إلى كل من مدّ لي يدّ العون وساعدني في إنجاز هذه المذكرة

وأخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور"لحسن رضوان"

لتكرمه بالإشراف على هذا البحث وحسن رعايته

وثقته ودوام متابعته وعدم إدخاره أي جهد

في توجيهي وتصويبه أخطائي.

شكراً.

الإهداء

بسم الله والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله،وبعد:

آن الأوان للنفس أن تسكنَ لتسكنا

آن الأوان للكِبر أن يتواضعا

آن الأوان للرأس أن يطأطأ

آن الأوان للتوقف والنظر للخلف قليلا

آن الأوان للكلام لينطلقا

آن الأوان للإنحناء ،انحناءة إحترام وشكروعرفان

لهؤلاء: "أقدس الناس"

إلى من جُعلت الجنة تحت قدميها

إلى من تُحِب ولا تنتظر أن تُحَب

إلى من لا تسعُ الحروف ولا الأسطرولا الحبر لإحتضان عطفها وحبها وصبرها

إلى أمي أمدها الله بالصحة والعافية .

إلى الذي نظرت إلى العالم بجنبه وأسندت ظهري عليه إلى سندي في الحياه

إلى والدي أطال الله في عمره وألبسه ثوب الصحة والعافية ومتعني ببره ورد جميله

كما آن الأوان لتحية عرفان إلى من لا أكتمل دونهم إلى

إخوتي: جلالي، خيرة، منصور، خديجة، لخضر، سيد أحمد، محمد

إلى أزهار الأسرة المتفتحة: من أكبر حفيد لأصغرهم:

ماريا، ياسر عبد الله، جيهان، ملاك، أنس، يانيس عبد الجبار.

إلى عماد عائلة "بونوار" جدّي الحاج "محمد" والحاجة "خيرة"، أطال الله في عمريهما .

إلى بنات الأعمام: أمينة، مليكة، عائشة، فضيلة، نجاة. وإلى المحمّدان:

صهري وابن عمي اللذّان لم يبخلا علينا بعونهما .

إلى روح عمي الغالي "قدور" الذي خطفه الموت منا فجأة، رحمه الله وغفر له.

إلى كل عائلتي عائلة بونوار "قريش"، وعائلة مسلم.

إلى من سأشتاق لهم وأحن لأيامهم، إلى صديقاتي :

إلى توأمي "نسيمة"، إلى الطموحة المثابرة "أمينة"، إلى المرحة "أميرة"،

إلى الهادئة "نجية"، والواثقة "إيمان". وإلى المقبلة المحبة للحياة "أنيسة".

إلى صديقتيّ أيام الثانوية حليمة وخديجة،

لأول من علمني لفظ وكتابة حرف ولقنني الضاد طُعماً أصطاد به العلوما، إلى معلمي

في الابتدائي "معمري الحاج" أطال الله في عمره ،إلى كل راعي حرف، علمني ونصحني

وشجعني، إلى أساتذتي في الطور المتوسط والثانوي خاصة أستاذ الرسم

"طاجين لحسن" و أستاذ الأدب العربي "بوسعادة عبد القادر".

إلى الأستاذ المشرف الدكتور "رضوان لحسن"، إلى الزملاء والأساتذة الذّين قاسموني

سنوات الدراسة الجامعية ،وخاصة قسم الأدب والحضارة وأخص بالذكر

الجميلة الهادئة "زينب بوطرفة".

إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد ولو بكلمة.

المقدمة

سعت الأندلس لتكون في الواجهة دوما، واختارت التميّز عنوانا عريضا لحضارتها فانتهجته طريقا في مختلف الأصعدة، ومنه صعيد العمّارة حيث أخذ رعاة الفنّ الإسلاميّ في إسبانيا وكذلك الفنانون يعتمدون إلى حد كبير على الفنّ والعمارة لإعادة تأكيد الصبغة الثقافية الإسلاميّة، فانطلق الملوك والأمراء والولاة يتسابقون ويتنافسون على تشييد أجمل القصور والمساجد لجعل مدنهم متميزة عن نظرائها من المدن الأخرى، فراحوا يتفاخرون بها ،وهذا ما يظهر جلّيا في أشعارهم التي تتغنّى بكل تفاصيل تلك العمارة ،ولم تقف هذه الأخيرة عند حدود تصميم الحجر والتّفنّن في إرسائه وبنائه، بل تعدته لترفقه بحدائق غنّاء أظهرت تناسقا رائعا بين الحجر والشّجر والماء، لخّصت بهم حيثيّات الذّوق الجمالي ، حيث لا يمكن للقصور والمباني الأندلسيّة أن توحي بالسحر ما لم يتدفق في نافورات باحاتها ماء تقذفه الأسود كما الأفيال ،ولا يمكن أن يصدح الهدوء مالم تسد ظلالّ الأشّجار.

فمباني الأندلس وقصورها المميزة، بتناغمها وتناسقا المدروس ألهب القرائح التي راحت تنظم أجمل كلام مقفى يمكن أن تصدح به الحناجر ،وهذا ما ينطبق على ابن خفاجة الذي استهوته الطبيعة الأندلسية فراح في كل فرصة يتغنّى بها ويبرز مواطن الجمال فيها فرأينا في أشعاره العمارة الأندلسيّة من وجهة نظر أخرى ،وهذا ما دفعني لإختيار موضوع العمارة الأندلسيّة في شعر ابن خفاجة عنوانا عريضا يتوسط مذكرتي ، واختياري هذا نابع من الإعجاب والحسرة في الوقت ذاته، إعجاب بما شّيده المسلمون في جزيرة أيبيريا من عمارة راقية تضاهي تفاصيلها الدقيقة العمارة الحديثة ،تجعل الناظر إليها يقف طويلا سارحا في كل تلك التفاصيل والأسرار، وحسرة على الوضع الذي آل إليه المسلمون اليوم ولكونه موضوعا جديدا يستحق الدراسة باعتباره امتداد للتراث والثقافة الإسلاميّة ،كما كان اختياراً ينم عن التحدي وحب الجديد و الإبتكار.

ولكل بحث إشكاليته وأسئلته، ما يدفعنا للتساؤل:

- ما مميزات عمارة الأندلس من المساجد فالقصور إلى القبور ؟ .
- و كيف تناولها الشعراء وخاصة ابن خفاجة الأندلسي؟ .

وقد اعتمدت في بحثي هذا على المنهج الوصفي كونه يتلاءم وطبيعة الموضوع الذي يحتاج للوصف لنقل تفاصيل عمارة المباني وطبيعة الأندلس ،مرفقا بالمنهج التحليلي كمنهج مساعد استعنت به لتحليل شعر الشعراء الأندلسيين، معتمدة على خطة بحث ضمت :مدخل تطرقت فيه بإجاز لسيرة ابن خفاجة من المولد والنشأة ،إلى ثقافته ،مرورا بالأغراض الشعريّة لديه ،دون إغفال أسلوبه ،كما ضمت الخطة كذلك ثلاثة فصول، الأول منها بعنوان التراث المادي في الأندلس ،وضم ثلاثة عناصر؛ الأول حديث عن المساجد، والثاني عن القصور، أما الثالث فتوقفنا فيه عند عمارة القبور ، بينما الفصل الثاني فجاء موسوما بالعمارة الأندلسيّة في الأدب الأندلسي وضم عنصران: الأول كان وصفا للبناء الخارجي للقصور، أما الثاني فتوقفنا فيه عند البناء الداخلي لها من خلال الشعر لكوكبة من شعراء الأندلس ، أما الفصل الثالث فجاء تحت عنوان العمارة الأندلسية في شعر ابن خفاجة، وفيه كان الحديث عن العمارة الأندلسية من وجهة نظرابن خفاجة الأندلسي وكيف عبّر عن تلك الطبيعة في شعره منتقين بعضا من المقطوعات الشعرية من ديوانه، لنختم بخاتمة كانت حوصلة لأهم نقاط موضوع البحث، تليها ملاحق عبارة عن صور منتقاة تُظهر جانب من تلك العمارة الأندلسية الساحرة.

وإثراءً لموضوعي اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع كان أبرزها: قلائد العقيان ومحاسن الأعيان للفتح بن خاقان واللمحة البدريّة للسان الدين الخطيب ،والحضارة الإسلاميّة لسلمى الخضراء الجيوسي ،وقصة الأندلس لراغب السرجاني، وتاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ،والمساجد والقصور في الأندلس للسيد سالم عبد العزيز إضافة إلى ديوان ابن خفاجة .

وأثناء بحثي واجهتني بعض الصعوبات لعل أبرزها ضيق الوقت، وقلة المراجع في المكتبة كون الموضوع جديد لم يطرح من قبل ،حيث اكتفوا بتناول الطبيعة واللون عند ابن خفاجة ولم يتطرقوا للعمارة الأندلسية بعناصرها الثلاث: الماء والشّجر والحجر. وهذا ما صعّب من مهمة البحث لديّ ما اضطرني للجوء للكتب الإلكترونية والتعامل مع جهاز الكومبيوتر طوال أيام البحث ما تسبب لي بمشاكل على مستوى العين.

فعلا قد شكلت الأندلس حضارة ساحرة لازلت أثارها إلى اليوم شاهدا عليها، فكل ركن من أركانها يسرد عبق الماضي بتاريخه الحافل، بصالحه كما طالحه، يعطينا دروسا لأخذ العبر منها في قدرة وعبقرية الإنسان وإصراره على قهر المستحيل وتحدي الطبيعة .

المدخل

سيرة ابن خفاجة

المولد والنشأة

ثقافته

شاعريته

الأغراض الشعرية

أسلوبه

منتديات أنيس الأمل

نتناول في هذا المدخل التمهيدي نبذة عن حياة وشعر ابن خفاجة باختصار، لأنّنا سنتناول شعره في الطبيعة الأندلسية بإسهاب في الفصل الثالث.

◄ المولد والنشأة:

ولد أبو إسحاق إبراهيم بن الفتح عبد الله بن خفاجة الأندلسي عام 450""ه ،في عصر ملوك الطوائف في قرية صغيرة تسمى شُقْر من أعمال بلنسية،[1] وهي جزيرة نهرية مشهورة بجمالها الأخّاذ وقد كان ابن خفاجة موسراً ولم يتزوج وتعلّق ببلده ولم يخرج منها إلا مرات قليلة وكان سرعان ما يعود إليها. [2]

ولا يُعرف شيئا عن والديه وأسرته لأن كتب التاريخ لم تحفل بذلك، كما أهملهم الشاعر نفسه فلم يذكرهم في أشعاره، أما طفولته فكانت عادية تماما[3] بينما كان في شبابه مقبلا على اللهو والمجون، ولما تقدمت به السن أقلع عن ذلك وارعوى، وفي ذلك يقول الفتح بن خاقان: «وكان في شبيبته مخلوع الرسن، في ميدان مجونه" .[4]

◄ ثقافته :

تثقف ابن خفاجة ثقافة عصره فحفظ القرآن والأحاديث النبوية الشريفة حسب طرق التعليم السائدة في الأندلس، ثم درس الشعر والنثر وعلوم اللغة والخط والحساب، وتلقى تعليمه الدّيني على كبار أساتذة الفقه في عصره من مثل: تليد بشاطبة والفقيه أبي بكر بن الأسود، أما أساتذته في الأدب فكثيرون منهم: ابن صواب، ونبغ في الفقه وعلومه، إلا أنه عرف عنه كراهيته لنفاق الفقهاء في عصره.[5]

وقد أصاب ابن خفاجة حظا وافرا من التعليم، وكان على جانب من الثراء وغير معني كما يبدو بمسالك السياسة، فلم تكن به حاجة لمدح الحكام ليبلغ نوالا أو منزلة، غير أن شعره يتضمن في الواقع مدائح قليلة لبعض المشاهير، وبخاصة الأمير المرابطي "يوسف بن تاشفين"، وبعض أفراد أسرته، الذين مدحهم بسبب خصالهم الشخصية ، وليس وراء مكسب مادي، إذ كان يمدح المرابطين مدفوعا بمشاعر الغبطة الصادقة لأن المرابطين

---

[1] الفتح بن خاقان، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تح: حسين يوسف خربوش، مكتبة المنار،ط1،الأردن1989 ،ص241.

[2] صلاح جرّار، قراءات في الشعر الأندلسي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1 ،2007م/1427ه ،ص100 .

[3] عليّ محمد سلامة، الأدب العربي في الأندلس- تطوّره ،موضوعاته ،أعلامه ،الدار العربية للموسوعات، ط 1، بيروت – لبنان،1989، ص333 .

[4] صلاح جرّار، قراءات في الشعر، المرجع السابق، ص100.

[5] عليّ محمد سلامة، المرجع السابق، 333.

أنقذوا الأندلس من الفوضى التي انتشرت في عهد ملوك الطوائف، وما شاع فيها من أحقاد داخلية وحروب خارجية، لأنهم استردوا بلنسية وما حولها من أيدي الإسبان، وبذلك استعاد للشاعر موطنه، ففي عهد الإحتلال الإسباني لتلك المنطقة عرف ابن خفاجة مرارة النزوح عن موطنه، إذ هرب إلى شمال إفريقيا، حيث راح يندب غربته ويعبّر عن حنينه الشديد إلى الأندلس .[1]

وقد اقتضى نبوغه في الأدب أن يتزود بثقافة واسعة فاطلع على أغلب الدواوين الشعرية وحفظ البعض منها لاسيما ديوان المتنبي والشريف الرضيّ وعبد المحسن الصوري ومهيار الديلمي فتأثر بهم ونسج على منوالهم وقد ذكر ذلك في مقدمة ديوانه فنراه يقول :"أم ذلك فيما يشوق ويهز ويروق من لف الغزل بالحماسة وهي من أساليب أبي الطيب فمن قولنا في ذلك". [2]

وَرُبَّ لَيالٍ بالغَمِيمَ أَرِقتُها *** لِمَرضى جُفونٍ بِالفُرَاتِ نِيامِ

وَلَم أَدرِ مَا أَشجى وَأَدعى إِلَى *** الهَوى أَخَفقَة بَرقٍ أَمْ غِنَاءُ حَمامَ

كما يقول عن تأثره بمهيار الديلمي :"أما ذلك بعض ما نقتفيه من طريقة مهيار ونحتذيه كقولنا": [3]

وَيَا بَانَةَ الوَادِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى *** أَتُصْغِي عَلَى شَطِّ النَّوَى فَأَقُولُ

وَيَانَفَحَاتِ الرِّيحِ مِنْ بَطْنِ لَعْلَعٍ *** أَلَا جَادَ مِنْ ذَاكَ النَّسِيمِ بَخِيلُ

◄شاعريته :

يعدّ ابن خفاجة شاعرا وناظما جيدا لم يتخذ من الأدب مرتزقا له لأنه ميسور الحال ورث عن أهله ثروة أمدته طوال حياته فهو الناظم المطبوع الذي شهد بتقديمه الجميع المتصرف بين حكمه وتحكمه البديع، تصرف في فنون الإبداع كيف شاء واتبع دلوه الرثاء فشعشع القول وروقه ومد في ميدان الأعجاز طلقة فجاء نظامه أرق من النفس العليل وأنفق من الروض البلبل.[4]

---

[1] سلمى الخضراء الجيوسي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، ديسمبر 1998، ج1، ص550 .

[2] ابن خفاجة، الديوان، تح: مصطفى غازي، دار المعارف، مصر1960، (دط) ص52.

[3] المصدر نفسه،ص14 .

[4] ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، دار العربية للكتاب، طرابلس، تونس، ط1، ج2، ص382.

فتن أول أمره بأشعار المحدثين في المشرق وبشعراء القرن الرابع خاصة ،فأخذ يقلدهم حينا ويعارضهم حينا أخر ولكنه سرعان ما استقل بطابعه المتميز فكان له أسلوبه الخاص الذي ميزه عن شعراء عصره، وذاعت شهرته في الأندلس والمغرب وكتب عنه الأدباء والمؤرخون فاختار له ابن بسام في كتابه "الذخيرة" وابن خاقان في "قلائد العقيان" وأبو الصلب في "الحديقة" والحداري في "المسهب" .[1]

وامتدت شهرته إلى أقصى الشرق، لأنه أقبل على الشعر معتمدا على ذوقه الجبلي وعلى طبيعة جزيرته الساحرة.[2]

واشتهر ابن خفاجة في الأدب العربي بأنه شاعر الطبيعة بالدرجة الأولى، ومن ثمة الكثير مما كتب بالعربية ولغات أخرى عن علاقته بها. هذه العلاقة معقدة ولكن يمكن حصرها في صنفين رئيسين: ***أولهما*** الوصف من أجل الوصف (الجمالية) الذي يستعمل أحيانا في تصوير مجالس الشرب والحب والمشاهد الجميلة، ***وثانيهما***: رؤية ما وراء الطبيعة عن الخلود والتناهي، والدوام والتغير، ومشاعر متضاربة إما عن أسى عميق لضعف الإنسان على هذه الأرض، أو عن إيمان ثابت بصبره وجلده ومقاومته .[3]

◄الأغراض الشعرية :

حاول ابن خفاجة أن يطرق كل باب طرقه القدماء والمحدثين في عصره وسار على طريقتهم في بادئ الأمر ثم تفرد ببعض الأمور وتميز بها عنهم فأجاد في الحالتين وقد تناول في شعره معظم الأغراض الشعرية المألوفة كالمدح والوصف لاسيما وصف الطبيعة والفخر والرثاء والغزل والبطولات والوطنية والعتاب والاعتبار والشوق والحنين وغير ذلك، وفي المدح فقد مدح الملوك وهم ملوك المرابطين لما قاموا به من أعمال ردت الأندلس إلى حاضرة الإسلام والعرب ومدح الأمراء والقادة وذكر بطولاتهم وأعمالهم الجليلة، فمدح أحدهم بخمس قصائد منها القصيدة التي يقول فيها:[4]

قُل لِمسرى الرّيحِ مَن إَضَمِ *** وَلَيالَينا بِذَي سَلَمِ

طَال لَيلي في هَوَى قَمرٍ *** نَامَ عَنْ لَيلِي وَلَم أَنَمِ

[1] عليّ محمد سلامة، المرجع السابق، ص333 .
[2] سلمى الخضراء الجيوسي، المرجع السابق، ص559 .
[3] ابن خفاجة، الديوان، المصدر السابق،ص106 .
[4] المصدر نفسه، ص 109.

وقد سار على نهج الأقدمين فقد مهد لمدحه بمقدمة غزلية ثم يصور الأمير بعد ذلك بأنه فارس مقاتل بأبيات تفيض بالحماسة فيقول:[1]

يَالَهُ مِن فَارِسٍ نَجدٍ *** لَو نَضَا عَن صَارِمٍ خَذمِ

وَارتَدى مِنهُ عَلى غَضَبٍ *** بِحُسامٍ غَيرِ مُنثَلِمِ

وبعد المدح يأتي الرثاء وكان فيه صادق العاطفة شديد الحزن لاسيما حين يرثي أحد أصدقائه المقربين كمرثية لصديقه أبي محمد عبد الله بن ربيعة، وأحد أقاربه مثل مرثية لابن أخته "محمد" وقد توفي بالصحراء فيقول فيها : [2]

وَأَستَقبِلُ الدُّنيَا بِذكرِ مُحمّدً *** فَيَقبُحُ فِي عَينَيّ مَا كَانَ يَمَلُحُ

وَأُشفِقُ مِن مَوتِ الصّبَى ثُمّ إِنّنِي*** لَآمُلُ أَنّ اللهَ يَعفُو وَيَصفَحُ

ولابن خفاجة مرثية أخرى في إخوان له مزجها بندوب شبابه وختمها بمدح ابن زهرة، ولم نجد غيره اتبع هذا الأسلوب في مزج الغزل بالرثاء أو المدح وندب الشباب ببكاء الموتى فكان وحيدا في سلوك تلك الدروب المفرقة في المحاكاة والتقليد .[3]

أما وصفه فجاء تصويرا حيا بكل ما وقعت عليه عيناه وسائر حواسه الأخرى من مشاهد الحياة والطبيعة، فكان مفتونا بالطبيعة يتحلى مباهجها فتملئ نفسه حبورا ويبدع في تصوير محاسنها، وقد أدخل وصف الطبيعة ومحاسن الحبيب في الغزل مستمده من محاسن الطبيعة باكية في الرثاء فضلا عن مقدماته الطويلة في وصف الطبيعة حتى تكاد تكون غرضا قائما بذاته، مما حّد بمؤرخ الأندلس (المقري)أن يطلق عليه "صنوبري" الأندلس تشبيها له بالشاعر المشرقي الصنوبري الذي اشتهر بشعره في وصف الطبيعة، كما أطلق عليه أخرون أنه شاعر الطبيعة الفذّ ومنهم الدكتور سامي مكي العاني.[4]

الوصف عنده هو الفن الذي حاز فيه السبق وغدا فيه فارس الحلبة الذي لا يشق له غبار.
ومن الأغراض الأخرى عنده الغزل الذي خلطه أحيانا بالحماسة من ذلك قوله : [5]

مَضَاءٌ كَمَا سُلّ الحُسَامُ مِنَ الغِمْدِ *** وَحَزْمٌ كَمَا طَارَ الشَّرَارُ مِنَ الزَّنْدِ

---

[1] ابن خفاجة، الديوان، المصدر السابق ، ص267 .
[2] محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، دار الرشيد للنشر، بغداد 1980 م،
[3] سامي مكي العاني، دراسات في الأدب الأندلسي، الجامعة المستنصرية،(دط)،1978 ص 103.
[4] عليّ محمد سلامة، المرجع السابق، ص343 .
[5] ابن خفاجة، الديوان، المصدر السابق، ص 346،208 .

◄ **أسلوبه :**

امتاز أسلوبه بالجودة والتمكن من اللغة، وأن تعدد الصور في البيت الواحد دليل على إبداعه وجودة نظمه ، ففي مطلع قصائده يلتزم تارة بالمقدمات الغزلية والتقليدية التي سار عليها معظم شعراء الأندلس وتارة يتخلص منها فيدخل الغرض الرئيسي من القصيدة لاسيما في وصفه للمعارك الحربية كقصيدته التي يتحدث فيها عن النصر المبين الذي حققته مدينة بلنسية، فقد بدأها بمطلع ممتاز عُد من أحسن مطالعه يقول فيه :[1]

الآنَ سَع غَماءُ النَصرِ فَانهَمَلا *** وَقَامَ صَغوُ عَمودِ الدِينِ فاعتَدَلا

وفي بعض مدائحه فقد كان مهتما بختمها بموعظة أو حكمة كقوله :

وَاشْفَع عَلى شَحطِ الدِّيارِ لآمَلٍ *** أَهدى الثَنَاءَ عَلى ثَمانِي الدارِ

يسع للمرء تعلم الكثير من وعن ابن خفاجة من دراسة قاموسه الشعري، فالكلمة عنده دافئة حسّية مهووسة بالألفة البشرية، صخّابة واعية بعنف الحياة حول شاعر في بلد مزقته الحروب شاعر ملأته الطبيعة بالروع والروعة فهو دائم الدهشة والحيرة اتجاه جمالها وديمومتها إزاء تقلب البشر وفناءهم .[2]

كان ينعم ابن خفاجة بكثير من الصداقات ، وعندما بلغ الرابعة والستين جمع أشعاره وكتب لها مقدمة طريفة، مع تعليقات في مقدمة بعض القصائد، وقد عمّر ما يزيد على ثمانين سنة وهو ما أدى به إلى قلق بالغ في أخر أيامه، إذ راح يشهد حلقة أصدقائه في تناقص دائم :

وَقَد دَرَستِ أَجسامُهُم وَدِيارُهُم *** فَلَم أَرَ إِلاّ أَقتُراً وَيَبَابا

وَحَسبيَ شَجواً أَن أَرى الدارَ بَلقَعاً *** خَلاءً وأَشلاءَ الصَديقِ تُرابا

ولفترة في أواسط العمر توقف كليا عن كتابة الشعر.. ، ولم يعد إلى كتابة الشعر إلا ليمدح ابن تاشفين .[3]

◄***وفاته :*** توفي ابن خفاجة سنة 533هـ في جزيرته ومسقط رأسه "شُقر".[4]

---

[1] ابن خفاجة، الديوان، المصدر السابق ،ص39.
[2] سلمى الخضراء الجيوسي، المرجع السابق، ص550.
[3] حمدان حجاجي، باقة من شعر ونثر ابن خفاجة، المنشورات الجامعية والعلمية،(دط)، باريس، 19983، ص111.
[4] صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، المرجع السابق، ص100.

الفصل الأول

التراث المادي في الأندلس

المساجد

القصور

القبور

منتديات براعم الأمل

❖ 1)المساجد:

كان للجامع أو المسجد في المدن الإسلامية عدة وظائف أهمها بطبيعة الحال الجانب الدّيني، ففيه تقام الصلوات المفروضة وصلاة الجمعة فضلا عن إقامة الإحتفالات الدّينية الأخرى، كما كان المسجد مركزا تعليميا يتلقى فيه الطلاب علوم الدّين واللغة العربية وفيه أيضا كان يعقد الخليفة أو الأمير ألوية الجيش للأعمال الحربية ويقوم القاضي بالقضاء بين الناس.[1]

وإذا تحدثنا عن المساجد التي بنيت في الأندلس على اختلاف مراحله وأطواره فإننا نجد الكثير،لذا سنقتصر على ذكر أشهرها:

1-1)مسجد قرطبة : يعد من أعظم المآثر المعمارية في القرون الوسطى، وقد شيّد على مراحل ،تعاقب عليها ثمانية من الأمراء والخلفاء فهو من أهم معالم قرطبة وآثارها الباقية إلى اليوم، وقد بدأ بناءه عبد الرحمن الداخل (170ه-786م) ومن بعده هشام الأول، وكان كل خليفة جديد يضيف لهذا الجامع ما يزيد في سعته وتزيينه، ليكون أجمل المساجد في مدينة قرطبة.[2]

وفي وصفٍ لهذا الجامع يقول صاحب الروض المعطار: «وبها (بقرطبة) الجامع المشهور أمره الشائع ذكره، من أجلّ مساجد الدنيا كبر مساحة ، وإحكام صنعة، وجمال هيئة، وليس في مساجد المسلمين مثله تنميقا وطولا وعرضا، طوله مائة باع وثمانون باعا ونصفه مسقّف ونصفه صحن بلا سقف ،وعدد(أقواس) مسقّفه أربع عشرة قوسا، وسواري مسقّفه بين أعمدته وسواري قبيبة صغارا وكبارا مع سواري القبلة الكبرى وما يليها ألف سارية، وفيه مائة وثلاث عشرة ثريّا للوقيد، أكبر واحدة منها تحمل ألف مصباح ، وأقلها تحمل اثني عشر مصباحا وجميع خشبه من عيدان الصنوبر الطرطوشي...وفي سقفه من ضروب الصنائع والنقوش مالا يشبه بعضها بعضا، قد أحكم ترتيبها وأبدع تلوينها بأنواع الحمرة، والبياض، والزرقة، والخضرة، والتكحيل...وسعة كل بلاط من بلاط سقفه ثلاثة وثلاثون شبرا، وبين العمود والعمود خمسة عشرة شبرا، ولكل عمود منها رأس رخام وقاعدة رخام".[3]

---

[1] عبد الله بن عليّ الزيدان، محمد بن صالح السحيباني، الأندلس-قرون من التقلبات والعطاءات- مكتبة الملك عبد العزيز ،الرياض، ط1، 1417ه/1996م، ص 158.

[2] راغب السرجاني، قصة الأندلس-من الفتح إلى السقوط- مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2010،ط1، 1432ه/2011م، ج1،ص 310،311.

[3] المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح: احسان عباس، دار صادر ،بيروت (دط)، م1، ص 146 .

كما قال عنه القاضي أبو محمد بن عطية:

بِأَرْبَعِ فَاقَتِ الأَمْصَارَ قُرْطُبَة *** مِنْهُنَّ قَنْطَرَةُ الْوَادِي وَجَامِعُهَا

هَاتَانِ ثِنْتَانِ وَالزَّهْرَاءُ ثَالِثَةٌ *** وَالعِلْمُ أَعْظَمُ شَيْءٍ وَهْوَ رَابِعُهَا[1]

وتوفي الأمير عبد الرحمان(173ه) قبل أن يتم بناء المسجد فلم تكن له مئذنة أو سقائف لصلاة النساء فجاء إبنه هشام من بعده فأقام له مئذنة من خمس فيء (أربونة)، وبلغ إرتفاعها على موضع الأذان نحو عشرين مترا، كما أقام في نهايته ما يلي الجوف (الصحن) سقائف للنساء. كما أمر ببناء ميضأة في شرقيه[2]، كما زيدت بلاطات المسجد من تسع إلى أحد عشر بلاطا ليتسع المسجد وذللك سنة(218ه-233م)وجعل هذين البلاطين الجديدين في سقيفتين ووصلهما بالسقائف التي كانت معدة لصلاة النساء، وبنى في مؤخرة الصحن سقيفة أخرى كما زاد في سنة(234ه-848م)في بيت الصلاة فاتسع المسجد من جهة القبلة وبلغ طول هذه الزيادة نحو خمسين ذراعا وعرضها نحو مائة وخمسين، وعدد سواريها ثمانية سارية. ونُقل المحراب القديم إلى جدار القبلة الجديد، وفتح في بيت الصلاة بابين جانبي المسجد الشرقي والغربي بالإضافة إلى البابين القديمين، وكل هذا في عهد الأمير عبد الرحمان بن الحكم بن هشام...

وتوفي عبد الرحمان الأوسط قبل أن يتم زخرفة المسجد، فجاء إبنه محمد فأمر في سنة(241ه-855م) "بإتقان طراز الجامع وتنميق نقوشه" ثم أمر سنة250ه بصنع مقصورة خشبية حول المحراب لها ثلاثة أبواب، ولما تم ذلك صلى فيه، فقال في ذلك موسى ابن سعيد:[3]

لَعُمرِي لَقَدْ أَبْدى الإِمَامُ التَواضُعا *** فأَصْبَحَ للدُّنيَا وَللدِّينِ جَامِعَا

بَنَى مَسجداً لَم يُبنِ فِي الأَرْضِ مِثْلُه *** وَصَلى بِهِ شُكراً لِذِّي العَرشِ رَاكِعَا

وفي عهد الأمير المنذر بن محمد أقيم في صحن المسجد بيت المال، كما أمر بتجديد السقاية وإصلاح السقائف وفي أخيه الأمير عبد الله بن محمد انشأ ساباطا (طريق مغطى) معقودا على حنايا يصل ما بين القصر والجامع من جهة الغرب، وفتح إلى المقصورة باباً كان يخرج منه إلى الصلاة، وهو أول من اتخذ ذلك من أمراء بني أمية، وتابعه في ذلك

[1] المقري، المصدر السابق،ج1، ص616.

[2] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: عبد الله أنيس، مطبعة بيروت، 1958م،(دط)، ص43 .

[3] حسين يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي(138-422ه/755-1030م) مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، ط1، 1414ه/1994م، ص 207،208 .

من جاء بعده [1]وفي هذا الساباط ثمانية أبواب، منها أربعة تتعلق من جهة القصر، وأربعة تتعلق من جهة الجامع، ولهذا الجامع عشرون باباً مضفّحة بصفائح وكواكب النحاس .وفي كل باب منها حلقتان في غاية الإتقان، وعلى وجه كل باب منها في الحائط ضروب الفصّ المتخذ من الآجرّ الأحمر المحكوك. وأنواع شتى وأصناف مختلفة من الصناعات والتنميق.[2]

أما أعظم زيادة في مسجد قرطبة فقد تمت في عهد الخليفة الحكم المستنصر بعد تضاعف عدد سكان قرطبة وذلك من حيث البناء والزخرفة حيث جعلته متناسقاً متعادل الأجزاء، وأهم ما فيها تلك القباب التي تقوم على هياكل من عقود بارزة متشابكة في أشكال هندسية رائعة وقد كان لهذه القباب أثرها في أوروبا حيث أوحت للفنانين الفرنسيين بالقبوات القوطية الشهيرة .[3]

"أما المحراب الجديد فيعتبر أجمل عنصر معماري في المسجد أضافه "الحكم" ،حيث عنى به المهندسون عناية كبيرة ،فأقاموا القباب على بلاطه الأوسط ورواقه الأمامي ونقشوه من الداخل و الخارج بالتوريقات وزينوا عضادتيه بلوحات من الرخام عليها حفر غائر على هيئة زخارف نباتية وتوريقات تتماشى مع الأسلوب البيزنطي ".[4]

ولهذا الجامع قبلة يعجز الواصفون عن وصفها ، وفيها إتقان يبهر العقول تنميقها ،وفيها من الفسيفساء المذهّب والبلّور مما بعث به صاحب القسطنطينية إلى عبد الرحمان الناصر لدين الله ...وفي جهتي المحراب أربعة أعمدة: اثنان أخضران، واثنان زر زوريّان, لا يقوّم بمال, وعلى رأس المحراب خصّة رخام. قطعة واحدة مسبوكة منمّقة بأبدع التنميق من الذهب واللاّزورد وسائر الألوان .واستدارت على المحراب حظيرة خشب بها من أنواع النقش كل غريب ,ومع يمين المحراب المنبر الذي ليس بمعمور الأرض مثله صنعةً؛ خشبة أبنوس، وبقس، وعود المجمر، يقال : إنه صنع في سبع سنين، وكان صناعةَ ستة رجال غير من يخدمهم تصرفا . [5]

وعن شمال المحراب بيت فيه عدد وطسوُت ذهب وفضة وحسك. وكلها لوقيد الشمع في كل ليلة سبع وعشرين رمضان. وفي هذا المخزن مصحف يرفعه رجلان لثقله ،فيه أربع أوراق من مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي خطّه بيمينه وفيه نقطة من دمه ويخرج هذا المصحف في صبيحة كل يوم جمعة, يتولّى إخراجه قومُ من قومة الجامع

[1] سالم عبد العزيز ،تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس-من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار المعارف، لبنان 1962،م،(دط)، ص 389 .
[2] راغب السرجاني، المرجع السابق، ص 312 .
[3] سالم عبد العزيز، المساجد والقصور بالأندلس، المرجع السابق ،ص34،36.
[4] حسين يوسف دويدار، المرجع السابق، ص 213 .
[5] راغب السرجاني، المرجع السابق، ص311،312 .

وللمصحف غشاء. بديع الصنعةَ ومنقوش بأغرب ما يكون النقش ، وله كرسي يوضع عليه فيتولى الإمام قراءة نصف حزب فيه. ثم يرفعُ إلى موضعه .[1]

وللجامع من الجهة الشمالية الصومعة(المئذنة) الغريبة الصنعة ،الجليلة الأعمال، اللائقة الشكل والمثال، إرتفاعها مائة ذراع وبالذراع الرشاشين منها ثمانون ذراعا إلى الموضع الذي يقف عليه المؤذن. ومن هناك إلى أعلاها عشرون ذراعا. ويصعد إلى أعلى هذا المنار بدرجين: أحدهما من الجانب الغربي، والثاني من الشرقي، إذا افترق الصاعدان أسفل الصومعة لم يجتمعا إلا إذّا وصلا إلى الأعلى، ووجه هذه الصومعة مبطّن بالكذّان المنقوش من وجه الأرض إلى أعلى الصومعة، محتوية على أنواع من التزويق والكتابة...

وبالأوجه الأربعة الدائرة من الصومعة صفّان من قسّي(أقواس) دائرة على عقد الرخام وبيت له أربعة أبواب مغلقة يبيت فيه في كل ليلة مؤذّنان وعلى أعلى الصومعة التي أعلى البيت ثلاثة تفاحات ذهباً واثنان من الفضة وأوراق سوسنيّة، تسعُ الكبيرة من هذه التفاحات ستين رطلا من الزيت..

وبقريب من ذلك يصفه ابن الوردي في كتابه خريدة العجائب وفريدة الغرائب" وقد كانت ساحته أشجار البرتقال والرمان؛ ليأكل منها الجائعون والقادمون إلى المدينة من شتى البقاع" .[2]

ثم كانت الزيادة الأخيرة في مسجد قرطبة على يد المنصور بن أبي عامر التي امتدت طولا من أول المسجد إلى أخره. وبدأت في سنة (377ه-987م) حيث أضاف ثمانية أروقة على مسجد من الجهة الشرقية وذلك نظرا للاتصال بالجانب الغربي منه بقصر الخلافة وصلت جملة البلاطات تسع عشرة بلاطةً .[3]

وبالرغم من ذلك فإن الزخارف لم تكن تقل عن سابقتها روعة وجمالا[4]، وظل العمل في هذه الزيادة مدة عامين ونصف كان المنصور يعمل فيها بنفسه أحيانا كثيرة واستخدم مجموعة من آسرى النصارى في ذلك، وأصبح المسجد مؤلفا من تسع عشرة بلاطة، ففقد المسجد تناسقه وتعادل أجزاءه وأصبح المحراب متطرفا عن وسط جدار القبة وبعد أن كان يقع في محور الجامع، وهدم أبواب الجامع من الجهة الشرقية قبل الشروع في الزيادة ،وفتح في الجدار الشرقي ببيت الصلاة القديم ثغرات واسعة تصل بين الزيادة الجديدة وبيت الصلاة القديم، كما فُتح في الجدار الشرقي الجديد ثمانية أبواب فأصبح عدد الأبواب المؤدية إلى بيت الصلاة ستة عشر بابا، يضاف إليها خمسة أبواب تفتح على جوانب الصحن فيكون

[1] راغب السرجاني ،المرجع السابق، ص 312 .
[2] المرجع نفسه، ص 313 .
[3] حسين يوسف دويدار، المرجع السابق، ص 214 .
[4] المرجع نفسه، ص 215 .

عدد أبواب المسجد واحد وعشرون باباً كانت ملبسة بالنحاس الأصفر ومخزمة تخزيما رائعاً .[1]

وقد احتفظ المسجد بصورته تلك دون أن يطرأ عليه تغيير في نظام بنائه حيث لم تضف إليه أي إضافات فيما عدا أعمال الترميم اللازمة وخاصة في عصري المرابطين ،الموحدين وظل كذلك حتى سقطت قرطبة في يد فرناندو الثالث ملك قشتاله 1239م فتحول إلى كنيسة عُرفت باسم" سانتا ماريا "العظمي أو الكبرى. [2]

1-2)جامع إشبيلية : وقد أنشئ في عهد الأمير عبد الرحمان الأوسط، حيث أمر قاضيه عمر بن عدبس بتشييده سنة(214ه-830/829م) وبذلك نسب إليه. وقد سجل تاريخ إنشائه على بدن عمود من الرخام لازال محفوظا في متحف الأثار الأهلي بإشبيلية بخط كوفي ونصه: «يرحم الله عبد الرحمن بن الحكم الأمير العدل المهندي أمر ببنيان هذا المسجد على يد عمر بن عدبس قاضي إشبيلية في سنة أربع عشرة ومئتين ,كتب عبد البر بن حرون ..

وكان هذا الجامع يشبه جامع قرطبة في نظامه العام وفي عدد بلاطاته حيث كان يشمل على أحد عشر بلاطا متجهة عموديا على جدار القبلة الذي بلغ طوله مابين 48-50 مترا وكان البلاط الأوسط أكثر البلاطات إتساعا وإرتفاعا .وأقيمت له مئذنة في منتصف الجدار الشمالي تشبه نظام المآذن القرطبية التي ترجع إلى عهد عبد الرحمن الأوسط ,وكانت مربعة من الخارج مستديرة من الداخل بلغ طول كل جانب من جوانبها الأربعة 5.88م.[3]

وقد غرس في صحنه أشجار النارنج و البرتقال ,وكانت تتوسطه قطعة من الرخام تنبثق منها نافورة على شكل محارة .[4]

ويصفه المستشرق الألماني فون شاك: «بأنه جاء عملا رائعا وشهيرا ولكنه لم يكمله على ما أراد له".[5]

وقد أصيب المسجد ببعض الأضرار نتيجة لغارة النورمان على إشبيلية سنة(230ه-844م) وقد ظل يحتفظ بنظام بنائه ومساحته دون أن تدخل عليه زيادات لمدة ثلاث قرون حتى ضاق بالمصلين في عصر الموحدين، فأنشئ إلى جانبه جامع القصبة الكبير بإشبيلية وحدث

---

[1] شاك أدولف فون، الفن العربي في إسبانيا وصقلية، تر: الطاهر مكي، دار المعارف(دط)القاهرة 1980، ص62.

[2] عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، المرجع السابق، ص 368 .

[3] حسين يوسف دويدار، المرجع السابق، ص217 .

[4] عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، المرجع السابق، ص 401 .

[5] شاك فون، المرجع السابق، ص62.

في سنة(472ه-1079م) أن هدم الجزء الأعلى من مئذنته على إثر زلزال شديد فجددها المعتمد بن عباد في شهر واحد فقط .كما تصدعت جدرانه الغربية ومالت بعد مدة بتأثير الزلزال، كما تآكلت جوائز سقفه وظل كذلك حتى أمر أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي سنة 592ه .[1]

وبعد سقوط إشبيلية في يد الإسبان سنة 1246م حوّل إلى كنيسة سميت" سان سلفادور"...ولم يتبقى منه في الوقت الحالي سوى جزء من الصحن وجزء من المئذنة يبلغ ارتفاعه .9م في داخله برج حلزوني عرضه 80 سم يدور حول دعامة أسطوانية ضخمة ،وهو يعطينا صورة عن المآذن الأندلسية في هذا العصر..

1-3)مسجد الباب المردوم بطليله **:** وقام بتأسيسه قاضي طليله أحمد بن حديدي من ماله الخاص، فقد تولى الوزارة أيام إسماعيل بن ذي النون ملك طليله، وتعلو واجهته كتابة تاريخية نصها: «بسم الله الرحمن الرحيم. أقام هذا المسجد أحمد بن حديدي من ماله ابتغاء ثواب الله فتم بعون الله على يدى موسى بن على الناء وسعادة. فتم في المحرم سنة تسعين وثلاثمائة" [2].

وقد شيد من الحجر الجرانيتي والآجر وفقا للأسلوب الذي إختصت به طليله ،وهو على شكل مربع لا يتجاوز طول الجانب منه ثمانية أمتار ويتألف من ثلاثة أروقة طولية تقطعها ثلاثة أروقة عرضية ،بحيث يُحدث ذلك التقاطع تسع أساطين ،تفصل بينها أربعة أعمدة تيجانها قوطية قديمة يتفرع منها إثنا عشر قوسا على شكل حدوة الفرس ويعلو كل أسطوان من هذه الأساطين قبة تتقاطع فيها الأقواس على نحو ما رأيناه في قباب قرطبة، والقبة الوسطى أكثر إرتفاعا من القباب الأخرى..

وهو مسجد صغير المساحة ولكنه يعتبر من أهم مساجد الأندلس بعد مسجد قرطبة نظرلإحتفاظه بتسعة قباب قائمة على الضلوع المتقاطعة تمثل أول مراحل التطور التي مرت بها قباب جامع قرطبة.[3]

أما واجهة المسجد الرئيسية -وهي الجنوبية الغربية- فتظل على الطريق المؤدي إلى الباب المِردوم بثلاثة عقود، ويوجد في أعلاها نص التأسيس السابق، ويعلو هذه العقود الثلاثة بائكة صماء من أقواس متقاطعة ،ويتوج هذه البائكة إفريز بداخله شبكات مخرمة

[1] حسين يوسف دويدار ،المرجع السابق، ص 219 .
[2] المرجع نفسه، ص 219.
[3] المرجع نفسه، ص 220 .

على شكل معينات، أما الواجهة التي تطل على صحن المسجد فتتألف من ثلاثة عقود متجاوزة تعتبر بمثابة أبواب تعلوها ستة أقواس. [1]

وعرف هذا المسجد بهذا الاسم نسبة إلى باب مجاور له ،مازال قائما ويعرف بالباب المردوم، وقد تحول هذا المسجد إلى كنيسة بعد استلاء ألفونسو السادس ملك قشتالة على طليله سنة 1085م أطلق عليها سانتا كروز، يعرف اليوم باسم كنيسة" الكريستو دي لاثوت".[2]

4-1)المسجد الجامع بألمرية : يعتقد العالم الأثري الإسباني توريس بلباس أن هذا المسجد قد شيد في عهد الحكم المستنصر بعد زيادته في جامع قرطبة بسنوات قليلة...كان يتألف من خمس بلاطات عمودية على جدار القبلة، وأن البلاط الأوسط منها كان أكثر البلاطات اتساعا، وأن المحراب كانت تعلوه قبيبة مفصصه مازالت قائمة حتي اليوم..

وأن نظام البناء –كما يتجلى من خلال ما بقي من جدار المحراب- كان على نمط النظام القرطبي القائم على تناوب حجرين عرضا مع حجر طولا...وقد أضيفت إلى هذا المسجد زيادات من جوانبه الثلاثة الشرقي و الغربي والشمالي بواسطة زهير العامري الصقلي كما يتجلى من قول ابن الخطيب: «وهو الذي بنى هذا المسجد وزاد فيه الزيادات من جهاته الثلاث ما سوى القبلة".

وكان صحن هذا المسجد مغروسا بأشجار الليمون والبرتقال، ومفروشا بالرخام وتتوسطه نافورة للوضوء، شأن نظام مساجد الأندلس، وقد تحول إلى كنيسة سنة 1490م وسميت بكنيسة سان خوان وقد حولت بدورها إلى مخزن للمدافع والمهمات العسكرية سنة1845م.[3]

وقد عثر في أرضية هذا المسجد على بضعة كوابيل حجرية تشبه كوابيل جامع قرطبة إلا أنها تختلف عنها في كثرة زخارفها القائمة على التوريقات وتبدو فيها أوراق مبسوطة مقسمة على أصابع تتشابه مع زخارف قصر الجعفرية بسرقسطة وقصبة مالقه مما يرجح أنها في عصر المعتصم بن صمادح.[4]

---

[1] حسين يوسف دويدار، المرجع السابق، ص 220 .
[2] عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، المرجع السابق، ص 403 .
[3] المرجع نفسه، ص221 .
[4] المرجع نفسه، ص 222.

لم يغفل حكام الأندلس عمارة المساجد فقد أحاطوها بعنايتهم شأنها شأن قصورهم فراحوا يوسعونها وينمقون جدرانها ويرصعون قببها ويتسابقون لجعلها تحفة فنية عدا عن كونها مكان دّيني روحاني يعبر عن ثقافة .

❖ 2)القصور:

2-1)قصر الحمراء: يعد قصر الحمراء من أعظم الأثار الأندلسية الباقية ،بما حواه من بدائع الصنع ،و المهارة الفنية الراقية .

وعن قصور الحمراء تقول د:نعمت علام: "وتبلغ الزخارف الجصّية قمتها في قصر الحمراء ،ويلاحظ فيها ميل الفنان المسلم إلى الإسراف و المبالغة في تغطية الجدران بالزخارف المنقوشة ،كما يلاحظ مهارته الفنية في هذه الزخارف التي تتكون من التوريقات المشابكة والأشكال الهندسية ،ويوجد بها الزخارف أيضا ،إطار عريضا به رقوش كتابية استخدم فيها خط قريب من النسخ يعرف بالخط المغربي ،ومما يزيد من جمال هذه الزخارف تلوينها باللون الذهبي بالإضافة إلى بعض الألوان الأخرى كالأزرق و الأحمر والأخضر،وطريقة التلوين الجصّ المنقوش هو إبتكار مغربي إسباني ".[1]

ويظهر الأسلوب المغربي الإسباني أيضا في زخرفة القباب بالمقرنصات ،ولقد استخدمت المقرنصات بكثرة لمجرد الزخرفية وتظهر منها أمثلة في بعض عقود وتيجان أعمدة قصر الحمراء ،وهنا نلاحظ مقدرة المعماري ،وصل إلى تدرج هذه الوحدات في طبقات لتعطي تأثيرا زخرفيا ،وهذا أسلوب جديد يظهر لأول مرة في العمارة الأندلسية ...

استخدم الفنان المسلم مادة الجصّ[2]بكثرة لا مثيل لها في زخارف الجدران و تنفيذ النقوش الكتابية في قصور الحمراء ،ويرجع ذلك إلى ليونة الجصّ و سهولة استخدامه في الزخرفة و تنفيذ النقوش الكتابية التي كان يتطلب الفراغ منها سرعة فن الإنجاز...

الطريقة التي اعتمد عليها النقاش في تشكيل الزخارف والنقوش الجصّية هي الطريقة المعروفة باستخدام" القالب" وهذه الطريقة تساعد على تزيين المساحات الواسعة في أسرع وقت وأقل نفقة فضلا عن استخراج عدة نسخ متماثلة من أصل واحد وهذه الطريقة التي يستخدم فيها القالب في إعداد الزخارف الجصّية الجدارية يتم تلوينها باللون الأزرق

[1] إيمان الجمل، فن الرقوش في الشعر الأندلسي-العصر الغرناطي أنموذجا- دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، (دط) ص 33 .

[2] الجِصُّ والجَصُّ :الذي يطلى به، وهو معّرب، وجصص الحائط وغيره: طلاه بالجصّ .أنظر لسان العرب: ابن منظور ، مادة جص"،397/8.

والأحمر في الأشرطة المحزوزة والنقاط الغائرة لتتحول مادة الجصّ بعد ذلك إلى اللون الذهبي الرائع.[1]

وقد وصل إلينا العديد من التحف الرخامية التي تزينها النقوش الكتابية في قصور الحمراء، ومنها النقوش التي تزين باب الشرقية ونقوش الأبيات الشعرية في الحمامات السلطانية ونافورة عائشة وطاقات المدخل لقاعة البركة وكذلك نقوش نافورة بهو الأسود التي تزدان بزخارف ونقوش كتابية من شعر الوزير ابن زمرك.[2]

أما في عصر بني نصر فقد استخدم الحجر في بنيان قصر الحمراء ولكن بنسب أقل بكثير في هذا العصر عنها في عصر الخلافة الأموية وإقتصر استخدام الحجر في قصور الحمراء على جدران القاعات وفي عضادات الأبواب والعقود وتتجلى مصادر الفنان في تنفيذه بالقباب المقربصة في قاعات العدل والملوك والأختين والمقربصات التي تزدان ببعض النقوش الكتابية المحفورة على الحجر وقد استخدم الفنان الغرناطي في عصر بني نصر طرقا متعددة في النقش على الخشب من حفر وترصيع وتلبيس وتعشيق، ومن أجمل الأسقف الخشبية التي وصلت إلينا من قصور الحمراء التي أقيمت في عصر يوسف الأول سقف قاعة السفراء التي تزينها زخارف رائعة من أطباق نجمية، ونقوش كتابية محفورة حفرا بارزا...

وقد وصلت إلينا من قصور الحمراء أمثلة كثيرة من النقوش الكتابية المنفذة على تربيعات الزليج سواء بالتلبيس أو التطعيم وسجل عليها عبارة "لا غالب إلا الله" التي كانت شعار بني نصرو وهو شعار إنتشر على سائر جدران قاعات الحمراء.[3]

كما يذكر الدكتور محمد الجمل الأماكن التي تتركز عليها النقوش الشعرية في قصر الحمراء: «تتوزع نقوش الاشعار المسجلة على جدران الحمراء في مواضع متعددة في أفاريز متعددة الاشكال داخل القاعات وخارجها على الواجهات و الأبواب و النافورات وتتخذ شكل أفاريز طويلة وعريضة أو داخل دوائر مفصصة تنحصر داخل إطارات مربعة الشكل تمتد في مساحات واسعة متناظرة ومتماثلة وتدور على جدران القاعات بحيث لا يخلو جزء من الجدران من النقوش الشعرية بين التوريقات النباتية و الزخارف الهندسية متعددة الأشكال والأنواع ".[4]

قاعة المشور أحد أهم القاعات في قصر الحمراء :

---

[1] إيمان الجمل، المرجع السابق، ص 37،43 .

[2] المرجع نفسه، ص 47 .

[3] المرجع نفسه، ص48،51.

[4] محمد الجمل، قصور الحمراء-ديوان العمارة والنقوش العربية- مكتبة الإسكندرية، 2004م، ص82،83.

وفي المشور القاعة المذهبة نسبة إلى الزخارف المذهبة التي ازدانت بها ،وهناك ساحة إلى جنوبها تقع سقيفة تحتها بابان :الأسير منهما يؤدي إلى قاعة صغيرة تقود الزائر بهو الريحان ،والباب الأيمن يؤدي إلى المدخل الأصلي للقصر الريحان ،والباب الأيمن يؤدي إلى المدخل الأصلي للقصر وقد سدت معالمه، وفوق الباب ذي الدفتين طراز من الخشب نقشت عليه أبيات هذه الأبيات:

مَنْصِبِي تاجٌ وبَابِي مَفْرِقٌ *** يَحْسُدُ المَغرِبَ فيَّ المَشرِقُ

والغنى بِا للهِ أوصاني أنْ *** أسرِعَ الفتحَ لفتحٍ يَطْرُقُ[1]

وفي وصف آخر ينقله الدكتور "محمد الجمل" لقاعة المشور ،و ما حوته من أشكال بنائية ومنقوشات شعرية قوله ،"وعلى الناحية الأخرى من نفس البائكة تدور آية الكرسي بالخط الثلث الأندلسي على نفس نمط النقش السابق وعلى جانبها يمينا و يسارا جوفات مستطيلة الشكل تتخذ شكل الطاقة داخل الجدران تزينها أفاريز طويلة مستطيلة الشكل ينتهي طرافها بعقد مفصص وينحصر بداخلها أبيات شعرية للوزير الجياب منقوشة بالخط الثلث الأندلسي ،ونطالع في الطاقة اليمنى منها":[2]

طَاقٌ بِبَابِ المَجْلِسِ الأَسْعَدْ *** لِخِدْمَةِ الحَضْرَةِ بِالمَرْصَدْ

لِله مَا أَحسَنَه قَائِماً *** عَلَى يَمِينِ الملكِ الأَوْحَدْ

وفي رحلة الأستاذ محمد عبد الله عنان في أرجاء قصر الحمراء بغرناطة يذكر فناء الأسود بقوله:"وقد نقشت قصيدة رائعة فوق دائرة صحن النافورة التي تحملها الأسود تضم اثني عشر بيتا وهي من نظم الوزير ابن زمرك ،ومعها أبيات وردت في قصيدته وصف الحمراء .[3]

وفي وصف الدكتور محمد الجمل لها :"تتكون المجموعة المعمارية لقصور الأسود المعروفة في أشعار ابن زمرك بقصر الرياض السعيد من فناء رئيسي مستطيل الشكل تتوسطه نافورة تستند على إثني عشر أسدا ويتعامد عليها أربع قاعات رئيسية هي قاعة الأختين شمالا و قاعة بني سراج جنوبا ،وقاعة الملوك شرقا ،وقاعة المقربصات غربا وتعتبر تلك المجموعة من أجمل قصور الحمراء نقشا و زخرفة ،ومعمارا وتتكامل فيها الكتابات الشعرية مع النصوص والعبارات النثرية لتشكل مع العناصر المعمارية والزخرفية

[1] إيمان الجمل، المرجع السابق، ص 68 .
[2] محمد الجمل، المرجع السابق، ص 71
[3] محمد عبد الله عنّان، ، الأثار الباقية في إسبانيا والبرتغال، مكتبة الخانجي للنشر، الإسكندرية،ط2،1417-1997، ص 203.

من أعمدة وعقود وقباب ومقرنصات نسيجا زخرفيا ومعماريا لا نظيرا له في تاريخ الفنون والعمارة."[1]

ومن الملاحظ في شكل الأسود من الناحية التشريحية أنها لم تأخذ مظهر المشاكلة أو المماثلة إنما استخدمت كرمز لا أكثرو لذلك تفسير لدى الدكتور فريد شافعي :"لكن من الملاحظ أنه على الرغم من كراهية الإسلام للتصوير والفتور في تشجيع الفنون التشكيلية في العصر الإسلامي فإن ذلك لم يؤثر على الإنتاج الفني من الناحية العددية أي على كميات التحف بقدر تأثيره على الطابع و الأسلوب ."[2]

2-2) قصر الرصافة: كان عبد الرحمن يحن إلى قصور أبائه وأجداده وخاصة رصافة جدّه هشام، فأقام المنية المعروفة بالرصافة –على بعد 2 كلم شمال غربي قرطبة وبنى بها قصرا للتنزه والسكنى فيه في بعض الأوقات، وسماها بذلك نسبة إلى رصافة جدّه هشام .[3]

يقول المقري:"فاتخذ بها قصرا حسنا، ودجا حنانا واسعة، ونقل إليها غرائب الغروس وأركام الشجر من كل ناحية، وأودعها ما كان استجلبه سفر بن زيد مولاه إلى الشام النوى المختارة، والحبرب الغريبة حتى نمت بيمن الجد وحسن التربية في المدن القريبة أشجار معتمة أثمرت بغرائب من الفواكه، انتشرت عما قليل بأرض الأندلس فاعترف بفضلها على أنواعها"...

وقد كان من أشهر الفواكه التي غرست في منية الرصافة الرمان السفري، كما أرسلت أم الأصبغ إلى أخيها شتلات من أشجار النخيل فغرسها في منيته بالرصافة ،ويذكر أنه عندما نزل بها لأول مرة شاهد نخلة أهاجت أشجانه ،وذكرته بموطنه الذي تركه فارا ًمنه فقال مرتجلا:[4]

تَبَدَّتْ لَنَا وَسْطَ الرُّصَافَةِ نَخْلَةٌ *** تَنَاءَتْ بِأَرْضِ الغَرْبِ عَنْ بَلَدِ النَّخْلِ

فَقُلْتُ شَبِيهِي فِي التَغَرُّبِ وَالنَّوَى *** وَطُولِ التَّنَاءِي عَن بَنِيّ وَعَنْ أَهْلِي

نَشَأْتِ بِأَرْضٍ أَنْتِ فِيهَا غَرِيبَةٌ *** فَمِثْلُكِ فِي الإقصَاءِ وَالمُنْتأى مِثْلِي

---

[1] محمد الجمل ،المرجع السابق ،ص 136.
[2] إيمان الجمل، المرجع السابق، ص 93 .
[3] حسين يوسف دويدار، المرجع السابق، ص 230 .
[4] المرجع نفسه، ص 230،232 .

وكان عبد الرحمن يؤثر الجلوس في علية بالرصافة لمشاهدة الجّنان المحيطة بالقصر الذي أنشأه بها، وكان يحيط به سور له عدة أبواب منها : باب الحبل الذي عُرف في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط.[1]

وقد ظلت الرصافة من الأماكن الأثيرة لدى أمراء بني أمية ،فزادوا في عماراتها ونزلوا بها كما نزل بقصرها بعض ملوك الدول الأجنبية الذين قدّموا إلى الأندلس، مثل الملك أردون الرابع ملك قشتالة .

وقد وصف هذه الرصافة الكثير من الشعراء ،وظلت بعد سقوط الخلافة الأموية منتدى للأدباء وملتقى للشعراء، يتبادلون فيها الأشعارومن أمثلة ذلك قول قاسم بن عبود الرياحي:

اسْقِنِيها إِزَاء قَصرِالرُّصَافَهْ *** واعْتبر فِي مآل أَمرِالخِلافَهْ[2]

وأُنظُر الأُفُق كَيفَ بُدّل أرضاً *** كَي يُطِيلَ اللبيبُ فِيه اعتِرَافَهْ

وبعد سقوط قرطبة في يد الإسبان سنة 1236م، أصبحت منية الرصافة، مقر لجماعة الآباء الفرنسيسكان، وقد بقي منها اليوم بعض آثار جدران وقاعات، وفي جوف هذه الأطلال باب يؤدي إلى نفق في باطن الأرض يقال إن عبد الرحمان كان يرتاده كلما أراد أن يخلو بنفسه ويصل بين الرصافة وقرطبة، وهناك أثار نخلةٌقديمة يطلق عليها نخلة عبد الرحمن. [3]

***2-3)قصر الدمشق*:** يغلب الظّن أنه من بناء عبد الرحمن أيضا، وقد ذكر المقري أن هذا القصر شيد «بالصفاح والعمد وأبدع في بنائه، ونمقت ساحاته وكسيت سقفه بالزخارف المذهبة والمفضفضه، وأحيطت رياضه وجداوله في ساحاته وأنيته بأرضيات مرخمة".

وقد أضاف إليه أمراء بني أمية بعد ذلك وزخرفوه، واتخذوه «ميدان مرحاهم ومضمار أفراحهم"، وقلدوا به قصور أجدادهم في المشرق(.[4]

وقد ظلت أطلال هذا القصر قائمة في عصر ملوك الطوائف، وقد زاره الوزير الشاعر ابو بكر بن عمار وقال فيه:[5]

---

[1] ابن القوطية، المرجع السابق، ص 84 .

[2] المقري، م1،المصدر السابق، ص469.

[3] عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس-دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الأموي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ج2، ص 52 .

[4] المقري، م2، المصدر السابق ،ص 190، 192.

[5] عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، المرجع السابق، ص 53 .

كُلُّ قَصرٍ بَعدَ الدَّمشقُ يذَمُّهُ*** فِيهِ طَابَ الجَنَّى وَفَاحَ المِشَمُّ

مَنظَرٌ رَائِقٌ وَمَاءٌ نُمَيرٌ *** وَثَرَى عَاطِرٌ وَقَصرٌ أَشَمُّ

بِتُّ فِيهِ وَاللَّيلُ وَالفَجرُ عِندِي *** عَنبَرٌ أَشهَبٌ وَمِسكٌ أَدَمُّ

2-4)قصر ابن الشاليه : من القصور التي تعود إلى العصر الأموي أيضا، وأقيم خارج قرطبة قصر عبد الله بن أمية المعروف بابن الشاليه، وعنه يقول الشاعر عبيدس ابن محمود وكان كاتبا له:[1]

قَصْرُ الأَمِيرِ أَبِي مَرْوَانَ منتسخ *** مِنْ جنّة الخُلدِ بِالسرَاءِ مَعْمُور

فِيهِ مَجالِس قَدْ شُيِّدَتْ بِلا عَمَد *** بُنْيَانُهَا مَرمَر بالتبر مَطمُور

2-5) قصر الإمارة (الخلافة) تتابع ولاة الأندلس فأقاموا في قصر الإمارة بقرطبة، ونزل به عبد الرحمن الداخل وصار مقرا له ولأبنائه، ودخلت عليه الكثير من الإضافات والزيادات، وأصبح يعرف بالقصر الخلافي بعد ذلك, ويقول عنه ابن بشكوال:"هو قصر أولى تداوله ملوك الأمم وفيه من المباني الأولية، والأثار العجيبة ما يعجز عن الوصف، ثم ابتدع الخلفاء من بني مروان البدائع الحسان وأثاروا فيها لأثار العجيبة والرياض الأنيقة، وأجرو فيه المياه العذبة المجلوبة من جبال قرطبة على المسافات البعيدة، وتمونوا المؤن الجسيمة حتى أوصلوها إلى القصر الكريم، وأجروّها في كل ساحة من ساحاته، وناحية من نواحيه في قنوات الرصاص تؤديها منها إلى المصانع (الأبنية المختلفة) صور مختلفة الأشكال من الذهب الإبريز والفضة الخالصة والنحاس المموّه...إلى البحيرات الهائلة، والبرك البديعة والصهاريج الغريبة، في أحواض الرخام الرومية المنقوشة العجيبة"، ويضيف قائلا: «وفي هذا القصر القصاب العالية السمو المنيفة العلو التي لم ير الراؤون مثلها في مشارق الغرب ومغاربها[2].

ويذكر ابن خلدون أن الحكم الربضي وعبد الرحمن الأوسط وإبنه محمد قد إهتموا بتشييد المجالس(شبيهة بالاستراحات)في هذا القصر ومنها مجالس الزاهر والبهو والكامل والمنيف كما أضاف إليه الأمير عبد الله ابن محمد ففتح فيه بابا عند الركن القبلي سماه باب العدل كان يجلس فيه يوما في الأسبوع لمباشرة أحوال المتظلمين بنفسه كما أقام ساباطا يصل بين القصر وجامع قرطبة المواجهة له كما أن الناصر أضاف إليه إضافات كثيرة حيث يذكر ابن عذارى أنه «لم يترك في قصر الإمارة بنية إلا وترك فيها أثرا محدثا إما

[1] شاك فون، المرجع السابق، ص61 .

[2] حسين يوسف دويدار، المرجع السابق، ص226،227 .

بتجديد أو بتزييد، ومن هذه الإضافات بناء عُرف بدار الروضة بجوار المجلس الزاهر، كما أسس الدار المعروفة باسم دار الرخام.[1]

وكان هذا القصر يضم قصورا أو مجالس داخلية منها المجدد، والحائر، وقصر الوزراء والمعشوق، والمبارك، والرضيق والسرور، والتاج، والبديع، والبستان.[2]

وكان لهذا القصر عدة أبواب منها: باب السدة وهو الباب الرئيسي في الناحية القبلية وباب قوريه، وباب الصناعة في الناحية الشمالية وباب الجامع في الناحية الشرقية، أما الجهة الغربية من القصر فلم يكن فيها أبواب، حيث كانت كلها بساتين وروضات وبعد سقوط قرطبة في يد الإسبان (1236م)سمي بالقصر الأسقفي بدلا من القصر الخلافي ثم حوله الأسقف دون سانشوري روخاس في القرن الخامس إلى قصر من الطراز القوطي.[3]

2-6) منية العامرية: يتكون قصر العامرية من قاعات ثلاث متوازية يحيط بها من الشرق والغرب غرف مربعة تتوزع ثلاثة في كل من الجهتين وفي الشمال الشرقي يقوم بناء آخر ملاصق لهذا البناء ينقسم بدوره إلى غرف صغيرة لعلها كانت مرافق أو ملحقات بالقصر، وكان يتصل بهذه الغرف بركة كبيرة طولها 49,70 مترا، وعرضها 28 مترا وعمقها 3 أمتار، أقيمت كلها من الحجر.[4]

2-7)قصر البرطل :وفي وصف الدكتور محمد الجمل لقصر البرطل و نقوشه يقول :"قصر البرطل من أقدم الأبنية بقصور الحمراء و يسمى بالبرطل لسقيفة تطل على بركة صناعية بخمسة عقود أوسطها أكثرها ارتفاعا و يرجع الفضل في إنشاء معظم مباني قصر البرطل إلى السلطان محمد الثالث بن الأحمر ،وقد تعرضت تلك القصور في عصور لاحقة لأعمال الإصلاح و الترميم ،ويعتبر هذا القصر أقل قصور الحمراء زخرفة ،بسب عمليات الإصلاح العشوائي المتتالية التي أجريت عليه .[5]

وتوجد مجموعة منازل تلاصق قصر البرطل من الجهة الغربية ،ويحتوي المنزل الأول منها على رسوم جدارية تتضمن مناظر صيد ورسوم آدمية وحيوانية ،بالإضافة لرسوم جنود بملابسهم العسكرية وأسلحتهم ،ويحيط بتلك المناظر بعض النقوش بخط الثلث

---

[1] حسين يوسف دويدار، المرجع السابق، ص 228 .
[2] المقري، المصدر السابق، م2، ص 112 .
[3] عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، المرجع السابق، ص 193،194 .
[4] المرجع نفسه، ج2، ص 19.
[5] محمد الجمل، المرجع السابق، ص158.

نطالع فيها "اليمن الدائم ،العز القائم ،البركة "وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ،وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ".[1]

وفي وصف محمد الجمل لرقوش القاعة الداخلية لقصر البرطل قوله :"أما عن النقوش الكتابية المسجلة على القاعة الداخلية التي تلي الرواق المسقوف من قصر البرطل فهي عبارة عن إطار مستطيل الشكل يتوسطه عبارة" لا غالب "تتكرر مرتين بالخط الكوفي المضفر يعلوها عبارة "إلا الله " وتتخذ شكل بائكة من العقود المفصصة ينحصر بداخلها بخط نسخي دقيق عبارة الغبطة المتصلة تتكرر عدة مرات أما الإفريز العلوي للنقش السابق فينحصر بداخله أبيات شعرية يُرجع جارثيا جوميث نسبتها للوزير ابن الجياب ،والأشعار منقوشة بالخط الثلث الأندلسي ونص الأبيات كالتالي:[2]

حُيِّيتَ يَا مَنْزِلاً طَافَتْ السُّرُورُ بِهِ *** وَ السَّعْدُ قَدْ سَاعَدَاهُ العزُّ وَ الأَمَلُ

وَنَالَ فِيكَ المُنَى بابك واسقَتْ *** بَشَائر بالذّي ترْجُوه متّصِلُ

ولا يخرج مضمون الرقش[3] عن تحية للقصر لما يعمره من السرور السعد المتصلان، وقد أسهب ابن الجياب ،وأطنب في ذلك وحشد عددا من مفردات البشر والسرور التي تعتبر كثيرة بالقياس لحجم الرقش(السرور ،السعد ،بشائر، الطيب سحر بشر ، الجذل .).

قصور الحمراء ليست مباني هشة ألصقت إلى بعضها البعض بل هي بناء متكامل يقوم على فلسفة معمارية فنية تضرب بجذورها في أعماق الفلسفة ،إنها فلسفة الذوق الجمالي الذي جمع تركيبة ضمت عناصر ثلاث هي الماء الشجر والحجر، فحيث يوجد الماء يوجد شجر ليعمر الحجر. فلا غنى لأول عن الثاني ولا الثاني عن الثالث ،فلا غنى عن بعضهم البعض هم معا يشكلون تركيبة عمرانية ساحرة تجسد الذوق الجمالي الأندلسي.

[1] إيمان الجمل، المرجع السابق، ص54

[2] محمد الجمل، المرجع السابق، ص158.

[3] الرَّقشُ: الرّقشُ كالنقشِ.. ورُقيشُ تصغير رقَشَ، وهو تنقيط الخطوط والكتاب ..والتَّرقيشُ: التسطير في الصّحُف ، انظر: ابن منظور: لسان العرب:

❖ 3) القبور :

يعرج على نوع أخر من نوع العمارة ذات الطابع الديني ,اعني القبور وكغيرها من المدن الاسلامية .عرفت غرناطة المقابر و كان يطلق على المقبرة فيها اسم الروضة.[1]

أما القبور فكانت بسيطة البنيان مرتفعة شيئا قليلا عن الارض ومع التطور العمراني النهضة التي اصابت البلاد ,اصبحت القبور اكثر تطورا , فالشواهد باتت مصنوعات من الرخام الفاخر المصقول .منقوش عليها اسم المتوفى وتاريخ وفاته، وقد تكتب عليها المراثي سواء أكانت شعرية أم نثرية.[2]

وقد انتشر في لأندلس بشكل عام كتابة هاذه المرثيات على شواهد قبور السلاطين والوزراء والعلماء وغيرهم من الشخصيات المرموقة , وقد تكون هذه المراثي من نظم المتوفي نفسه نظمها قبل وفاته , في إشارة الى مكانة هذا المتوفي و كأنها إعلان عن حضوره و إن وراه الثرى.

ويلاحظ في الأبيات التي نظمها أصحابها لتنقش على قبورهم قصرها ودورانها حول اعتراف صاحبها بذنوبه طالبا الصفح والعفو من الله، راجيا الشفاعة من النبي الكريم ومثال ذلك قول الشاعر محمد بن باق الأموي :[3]

تَرحَّم عَلى قَبر باقٍ ووحيّهِ *** فَمِن حقِّ ميْتِ الحيّ تسليم حيّهِ

وقل آمن و الرحمنُ روعة خائفٍ *** لتفريطه في الواجبات وخيّهِ

فَقَدْ يشفعُ الجَارُ الكَريمُ لجارهِ *** وَيَشملُ بالمَعرُوف أهلَ نديهِ

وإني بفضل الله أوثقُ واثقٍ *** وَحَسبي وَإِنْ أذنبتُ حبُّ نبيّهِ

وتظهر معاني الخوف من الله هذه والتحسر على الذنوب في قول ابن الأرقم النميري الذي يخاطب زوار قبره طالبا منهم التوجه إلى الله بالدعاء له بالرحمة والمغرفة، فيقول :

أَتَيتُ إِلَى خَالِقِي خَاضِعاً *** وَمَن خَدُّهُ فِي الثَرَى يَخْضَعُ

---

[1] الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997، ص66.

[2] لسان الدين الخطيب، اللمحة البدرية، تح: محب الدين الخطيب ،المطبعة السلفية، القاهرة، 1347ه،م1 ص48،68 .

[3] لسان الدين الخطيب، الإحاطة، تح: محمد عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر،ط2، القاهرة،1323ه/1973م، م2، ص340 .

وَإِنْ كُنْتُ وَافَيْتُهُ مُجْرِماً *** فَإِنِّي فِي عَفْوِهِ أَطْمَعُ

وَكَيْفَ أَخَافُ ذُنُوباً مَضَتْ *** وأَحْمَدُ فِي زَلَّتِي يَشْفَعُ

فَأُخْلِصُ دُعَاءَكَ يَا زَائِرِي *** لَعَلَّ الإِلَهَ بِهِ يَنْفَعُ[1]

وكما نظم الشعراء أبياتا لتنقش على قبورهم ،نظم أخرون أباتا في رثاء الأخرين سواء كانوا ذوي قربهم أو من ملوك السلاطين ، فأبو القاسم بن يوسف الأنصاري ينظم أبياتا لتنقش على قبر أبيه ، يقول فيها :

وَجَاوَزْتُ أَجْدَاثَ المَمَالِكِ خَاضِعاً *** وَقَلْبِي مَصْدُوعٌ وَدَمْعِي مَسْفُوحُ

وَوَجَّهْتُ وَجْهِي نَحْوَ جُودِكَ ضَارِعاً *** لَعَلَّ الرِضَا مِنْ جَنبِ حِلمِكَ مَفْتُوحُ

أَتَيْتُ فَقِيراً وَالذُّنُوبُ تُؤَذِنِي *** وَفِي القَلبِ مِنْ خَوفِ الجَرَائِمِ تَبْرِيحُ

وَلَمْ أَعْتَمِد إِلاَّ الرَجَاءَ وَسِيلَةً *** وَإِخْلاَصُ إِيمَانٍ بِهِ الصَّدْرُ مَشْرُوحُ

وَأَنْتَ غِنَايَ عَنْ عَذَابِي وَعَائِلِي *** بِفَقْرِي وَبَابُ العَفْوِ عِندَكَ مَفْتُوحُ

فَهَبْ لِي عَفواً مِنْ لَدُنكَ وَرَحمَةً *** يَكُونُ بِهَا مِنْ رَبقَةِ الذَّنبِ تَسْرِيحُ

وَصَلِّ عَلَى المُخْتَارِ مَا هَمَعَ الحَيَا *** وَمَا طَلَعَتْ شَمسٌ وَمَا هَبَّتْ الرِّيحُ[2]

فالشاعر يتوجه إلى الله بعدما توسد خد أبيه التراب، فيطلب من الله الصفح والرحمة والمغفرة لوالده ويقر بأن الذنوب تثقل كاهله، وهو خائف من العقاب إلا أنه يدرك أن باب المغرة مفتوح ثم ينهي أبياته بالصلاة على النبي الكريم راجيا الشفاعة عنده.

وقد نال الملوك والسلاطين والأمراء النصيب الأكبر من هذا النوع من الشعر، فقد كان الشعراء يسجلون مناقب المتوفى على ضريحه فجاءت قصائدهم طويلة، ويرجح أن هذا النوع من القصائد إنما كانت تقال أولا أمام الأسرة الحاكمة قبل نقشها على شاهد القبر[3] وكأن الشعراء سعوفي إرضاء الأحياء بذكر هذه المعاني التي كان يتصف بهل فقيدهم ولهذا

[1] السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار الفكر، القاهرة1979، ط2، ج1، ص42،43 .

[2] لسان الدين الخطيب الإحاطة، م4، المصدر السابق ص426،427 .

[3] العبدلات، شعر الرثاء في الأندلس في ظل بني الأحمر، الجامعة الأردنية عمان الأردن، ص 129

نجد أن الشعراء تناولوا معاني الكرم والشجاعة والعدل في مراثيهم التي نقشت فيما بعد على القبور، وفي هذا يقول ابن الجياب يصف قبر الملك أبي عبدالله محمد بن محمد:[1]

مَقَرُّ العُلى وَالمُلكِ وَالبأسِ وَالنّدى *** فَقُدّس مِنْ مَغْنى كَرِيمٍ وَمشهدِ

وَمَثْوى الهُدى وَالفَضل وَالعَدل وَالتّقى*** فَبُورِكَ فِي مَثْوى زكِي وَمَلحَدِ

ومنه قوله في ذكر مناقب الملك أبي الوليد إسماعيل بن فرج منقوشا على قبره:[2]

سُلطَانِ عَدلٍ وَبأسٍ غَالبٍ وَنَدىً *** وَفَضل تَقوى وَأخلاقٍ مَيَامِينِ

لِلهِ مَا قَدْ طَوَاهُ الموتُ مِنْ شَرَفٍ *** وَسِرٍّ مَجْدٍ بِهَذا اللّحدِ مَدْفُونُ

ولم تكن صفات الكرم والعدل والشجاعة وحدها التي تنقش على القبور من مناقب المتوفى بل لقد تناول الشعراء الصفات الحربية للمراثي، وفي ذلك يقول أحد الشعراء في رثاء الملك المؤسس محمد الأول :[3]

كَأَنَّهُ لَمْ يَسِرْ فِي مَحْفَلٍ لَجِبٍ *** تَضِيقُ عَنهُ بِلادُ العُربِ وَالعَجَمِ

وَلَمْ يُبدِ العِدا مِنهُ بِبَادِرةٍ *** يفتر مِنهَا الهُدى عَنْ ثَغْرٍ مُبْتَسِمِ

وَلَمْ يجهّزْ لَهُمْ خيلا مُضمرّة *** لاتشرب الماء إلاّ مِنْ قَليب دَمِ

ثم يسجل الشاعر نفسه على قبر يوسف الأول كيف أنه كان حاميا للدين مقاما لأطماع الكافرين فيقول :[4]

وَمَنْ كَأَبِي الحَجّاجِ حَامِي حِمى الهُدى *** وَمَنْ كَأَبِي الحجّاجِ مَاحِي دُجَى الكُفْرِ

وقد تناول الشعراء في شعرهم المنقوش على القبور الحادثة التي مات بها منير ثونه فإبن الجياب مثلا يحاول الربط بين الملكأبي الوليد وبين استشهاد عثمان بن عفان رضي الله

[1] لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية، المصدر السابق ،ص56.
[2] المصدر نفسه، ص75.
[3] صلاح جرّار، ديوان الحمراء، الأشعار العربية المنقوشة في مباني قصر الحمراء وجنة العريف بغرناطة، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ص 222،223 .
[4] لسان الدين الخطيب، اللمحة البدرية، المصدر السابق، ص99 .

عنه، حيث كلاهما مات مقتولا في بيته في الشهر الحرام، فقال أبيات نقشت على قبر الفقيد مبينا فيها تأثر العباد والبلاد لموته :[1]

قَضَى كَعُثمَانَ فِي الشَهرِ الحَرامِ ضُحىً *** وَفاةَ مُستَشهِدٍ فِي الدَّارِ مَطعُونِ

تَبكِي البِلادُ عَلَيهِ وَالعِبادُ مَعاً *** فَالخَلقُ مَابَينَ أَحزَانٍ وأَفَانِينِ

ومنه قول ابن الخطيب على قبر الملك يوسف الأول الذي قُتل أثناء سجوده في صلاة عيد الفطر، فيقول :[2]

تَولَّى شَهيداً سَاجداً فِي صلاتِهِ *** أَصِيل التُقى رَطب اللسان مِن الذِّكرِ

وَقَدْ عرفه الشَّهرُ المبارك حقَّ مَا *** أَفَاضَ مِن النعْمى ووفَّى مِن البِرّ

وهكذا يظهر لنا من خلال ما أوردنا كيف أن شعراء بني الأحمر استثمروا هذه القبور التي لطالما كانت وماتزال تشكل ذلك المكان المشؤوم الذي يحمل في طياته معاني فراق الأحبة والأهل والملوك والعظماء، فراحوا ينقشون على شواهدها أشعارهم التي كانت شاهدا حيا على مناقب المرثي، فباتت هذه القبور وكأنها معلم حضاري بحدّ ذاته شاهدا على من بجوفه بصفاته وإنجازاته، حاملة معها معاني الاستغفار والتوجع والحسرة والتوبة إلى الله .

ومن عاداتهم أيضا النقش على شواهد القبور، وتكون هذه النقوش أبياتا شعرية للوعظ، وقد طلب ابن خفاجة أن تكتب هذه الأبيات على قبره:[3]

خَلِيلَيَّ هَلْ مِنْ وَقْفَةٍ لِتَأَلُّمِ *** عَلَى جَدَثِي أَوْ نَظْرَةٍ بِتَرَحُّمِ

خَلِيلَّيَّ هَلْ بَعْدَ الرَدَّى مِنْ ثَنِيَّة *** وَهَلْ بَعْدَ بَطْنِ الأَرْضِ دَارُ مُخَيَّمِ

وَأَنَّا حَيِينَا أَوْ رَدِينَا لَإِخْوَةٌ *** فَمَنْ مَرَّ بِي مِنْ مُسْلِمٍ فَلْيُسَلِّمِ

يُرَدِدُّ طَوْراً آهَةَ الحُزْنِ عِنْدَهَا *** وَيَذْرِفُ طَوْراً دَمْعَةَ المُتَرَحِّمِ

حتى القبور كان لها نصيب في العمارة الأندلسية فأدخل عليها الرخام وكتبت عليها الأشعار بل حتى الوصايا كان لها نصيب في جدران القبور.

[1] لسان الدين الخطيب، اللمحة البدرية ،المصدر السابق، ص76.
[2] المصدر نفسه، ص99.
[3] ابن خفاجة، الديوان ،المصدر السابق، ص363.

الفصل الثاني

العمارة الأندلسيّة في الشعر الأندلسي

وصف البناء الداخلي للقصور

وصف البناء الخارجي للقصور

منتديات أنيس الأمل

لذلك فقد تعرض الشعراء في وصفهم للقصور إلى بنائها وزخرفتها، فوصفوا بناءها من الداخل والخارج، حيث تعرضوا لوصف بهوها، ومجالسها، وحمّاماتها...كما تعرضوا إلى وصف ما يحيط بها، كوصف حدائقها ورياضها، وما فيها من برك ونوافير وتماثيل، فقد أخذوا يصفون كل شيء فيها إرضاء لساكنيها وحبّا في الاقتراب منهم ومجالستهم.

كما لم يكتفي الشعراء بوصف القصور من الداخل والخارج بل زادوا على ذلك بوصف كل ما تقع عليه العين داخل القصور، لأنهم تسابقوا في التفاخر ببنائها، وإيداع كل نفيس وغريب فيها، فقد وصفوا بعض موجوداتها وما تحويه قصورهم من أثاث، وآنية، وتحف وشموع .

وقد اختار الحكام الأندلسيون أفضل الأماكن في المدن الأندلسية لتشييّد وبناء قصورهم فيها وجعلوا بعضا دار إمارتهم للبحث في أمور الحكم وشؤون الرعية، كما شيدوا قصورا أخرى لتكون سكن لهم أو لقضاء أجمل الأوقات فيها للترفيه عن أنفسهم، فكانوا يدرسون طبيعة المكان الجغرافية قبل البدء بالتشييد، ويدل هذا على مدى تقدم فن العمارة عندهم وكأنهم أخذوا برأي بعض حكام الروم عندما سئلوا عن البنيان الجيد، فقالوا: «أصْلحُ مواضعِ البنيان أن يكون على تلّ أوكِبسٍ ليكون مُطلا، وأحقُ ما جُعلت إليه أبواب المنازل وأفنيتُها وكِواؤها المشرقُ واستقبالُ الصّبا، فإن ذلك اصلح للأبدان لسرعة طلوع الشمس وضوئها عليهم."[1]

➢ 1)وصف البناء الخارجي للقصور:

قال عيسى بن وكيل في وصفه لمدينة طليله، متغنياً بجمال طبيعتها، وقصورها التي تُثير سماءها :[2]

زَادَتْ طُلَيطِلَةُ عَلى مَا حَدَّثُوا *** بِلدٌ عَلَيهِ نَضَارةٌ وَنَعِيمُ

اللّهُ زيَّنَهُ، فَوشَّحَ خَصرَهُ *** نَهرُ المَجّرَةِ والقُصُورُ نُجومُ

يصف الشاعر قصور طليله ضمن وصف المدينة، فهي مدينة في غاية الحسن والحمال تكثر فيها الرياض والجنان، وتزداد سحرا و بهاء بجريان نهر فيها، وقصورها الفخمة الجميلة المتقنة البنيان بدليل تشبيهه لها بالنجوم، لعلو بنائها، وسحر جمالها إذ تأسر العيون الناظرة إليها، فجعلها تضيئ وتلمع كالنجوم، فجاء وصفه لبناء القصور فيها بشكل عام ضمن وصفه للمدينة.

[1] ابن قتيبة، عيون الأخبار، دار الكتب المصرية(دط)، 1343ه/1925م، م1،ج3،ص312.
[2] ابن سعيد، المُغرب في حلَي المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، ط4، 1993، م2، ص9 .

كما يصف أبو محمد بن هبون أحد قصور المعتمد بن عباد، المعروف ب"الزاهي" مشيرا إلى جمال بنائه الخارجي وقوته، يقول:[1]

مَحلٌّ ألبَسَ الدُّنيا جَمَالا *** وإنْ فَضَحَ المَقاصِرَ والخِلالا

وَلِلزَّاهِي الكَمالُ سَناً وحُسناً *** كَما وَسِعَ الجلالَةَ والكَمَالا

يُحَاطُ بشكلهِ عَرْضاً وطُولاً *** وَلكِن لَا يحُاطُ بِهِ جَمالا

تواصلتِ المَحَاسنُ فيهِ شتىّ *** فَوفدُ اللّحظِ ينتقلُ انتقَالا

وَقورٌ مثلُ ركنِ الطَّودِ ثَبتَ *** ومختالٌ مِن الحُسنِ اختيَالا

يصف وهبون هذا القصر الذي شيده المعتمد في إشبيلية عن إحساس مرهف، فيصور ما تلتقطه عينه الباصرة، فيصفه بصورة بديعة جميلة نابضة بالحياة، إذ ان جماله لم يجمل المكان الذي شيد فيه فحسب، بل جمّل الدنيا بأسرها، كنا يمد المتلقي بلمحة معمارية وهندسية ، وذلك عندما أشار إلى شكل بنائه على شكل مستطيل، بدليل قوله: «يحاط بشكله عرضا وطولا" ثم ينتقل ليصف قوة بنائه إذ شبهه بالجبال الراسخة، وإلى جماله وسحره فيشبهه بالمرأة الواثقة من نفسها المختالة بجمالها، فهو يجمع بين قوة البناء وجمال المظهر دون أن يغطى أحد منها الأخر .

وكان ابن حمديس في طليعة شعراء وصف القصور، إذ كان يصفها وصفا دقيقا، فعند قراءة شعره في وصف القصور، فإنه يطلق العنان لمخيلة المتلقي لكي تتخيل القصر كما أراد كأنه هو والمتلقي يقفان أمام القصر يشاهدانه معاً، يقول في وصف دار بناها المعتمد بن عباد:[2]

وَيَا حَبَّذا دارُ يدُ اللهِ مَسّحَت *** عَليهَا بِتَجديدِ البقَاءِ فَمَا تَبْلَى

مُقدَّسةٌ لوْ أنَّ موسَى كَليمَهُ *** مَشَى قُدُماً فيِ أَرضِها خَلَعَ النّعَلا

نَسيتُ بِهِ إيوَانَ كِسرَى لأنّهُ *** أرَانِي لهُ مَوْلًى مِن الفَضْلِ لاَ مِثْلا

كَأنّ سُليمانَ بنْ دَاودَ لم تُبِح *** مَخَافَتُهُ بِلحنٍ فيِ شَيْدِه مَهْلا

فَجَاءَ مَكَانَ القَوْلِ نَبْعثُ وَصْفَهُ ***رَقيقاً، وَأُذنُ الدَّهرِ تَسمَعُهُ جَذْلَى

[1] ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ،م1، المرجع السابق ، ص508.
[2] المصدر نفسه، م1 ،ص334.

يلقي الشاعر على القصر صفة الخلود، لأن مشيئة الله أرادت له البقاء والخلود فهو يستحق القداسة والطهر، ويُوجب على من يدخله أو يسير في رحابه أن يخلع نعليه وفي ذلك مبالغة في القداسة، إذ استلهم من التراث الدّيني قصة موسى عليه السلام عندما كلمه الله تعالى جهرة عند جبل الطور، وأمره بخلع نعليه كما من التراث التاريخي لصالح نصّه الشعريّ فقد سنى إيوان كسرى المعروف بضخامة بنائه وجماله أمام جمل هذا القصر وروعة بنائه عندما صرّح بأن النبي سليمان بن داود عليه السلام قال للجن إن بناء هذا القصر يفوق ويعلو على ما شيدتم لي من قصور.

أما ابن عمار فإنه يتطرق لوصف قصر "الدمشق" ،إذ يستخدم أسلوب المقارنة والتفضيل في وصفه له، فيرفع من شأنه، ويحطّ من شأن القصور الأخرى، ليميزه بالسموّ والرفعة وتفوق جمال بنائه عمّا سواه من القصور الأندلسية الأخرى، يقول فيه: [1]

كُلُّ قَصرٍ بَعدَ الدِّمَشقِ يُذمُّ *** فِيهِ طَابَ الجَنَى وَفَاحَ المُشَمُّ

مَنظَرٌ رَائِقٌ وَمَاءٌ نَمِيرُ *** وَثَرَى عَاطِرٌ وَقَصْرٌ أَشَمُّ

أحاط به من حدائق زرعت فيها الأشجار والأزهار، ذات الأشكال والألوان المختلفة، والتي تصدر منها رائحة عبقة تشتم في أرجاء القصر، فجذبت لها الأنوف بطيب عطرها بالإضافة إلى صوت خرير الماء المتدفق من بركه ونوافيره المنتشرة في أرجاء القصر كافة، ثم يصور جمال بنائه ومنظره عند تفتق الفجر عن شفق أحمر يطرد ظلمة الليل فيبدوا القصر عند الشروق وسط الجنان والخمائل شامخا ساطعا منيرا.

ويواصل ابن حمديس الوصف وهذه المرة مع بهو قصر "دار" بناه المعتمد بن عباد وقبته فيقول:[2]

وَقَد تَوّجَ البَهوُ[3] البهيُّ بِقبَّة *** فَقُل فِي عَروسٍ فِي جَلابِيبِهَا تَجْلى

تَجَمّعتِ الأَضْدادُ فِيهَا مَصَانِعا *** وَلَم أَرَ خَلقاً قَبْلَهَا جَمعَ الشَّمْلا

إنه هنا يشبه بهو القصر بالعروس التي تتحلى بأجمل زينتها ليلة زفافها، وفي هذا تلميح إلى المبالغة في زخرفته وتأنقه، فيلجأ إلى تشخيصه لينقل صورة حية عنه، حيث صّور قبته الرائعة بالتاج الذي تضعه العروس فوق رأسها، فيزيدها حسنا وبهاء، فقبته كالتاج المزين حيث تزيده جمالا آخر.

---

[1] محمد بن عمار الأندلسي-حياته وشعره- مطبعة الهدى، (دط) بغداد، 1957، ص255.

[2] ابن حمديس، الديوان ،تح: احسان عباس، دار بيروت، (دط)، بيروت، 1960، ص379.

[3] البهو: الواقع من الأرض..وكل هواء أو فجوة عند العرب بهو، والجمع أبْهَاء وبُهىٌّ.

يقول لسان الدين بن الخطيب:[1]

غِرْنَاطَةٌ مَالهَا نَظيرُ *** مَا مِصْرُ مَا لشَّامُ مَا لعِراقُ

مَاهي إلاَّ العَرُوسُ تُجْلَى *** وتِلكَ مِن جُملَةِ الصَّدَاقِ

يقول ابن زيدون في قصر المبارك، فيقول:[2]

وَتَمَثّلِ القَصْرَ المُبَارَكَ وَجْنَةً *** قَدْ وَسّطَتْه فِيهَا الثّريَّا خَالاَ

وَأَدِرْ هُنَاكَ مِن المُدَامِ أَتَمّهَا *** أرجاً زكَا، وَأشفّهَا جِرْيَالاَ

قَصْرٌ يُقِرّ العَيْنَ مِنهُ مَصْنَعٌ *** بَهِجُ الجَوَانِبِ، لَوْ مَشَ لاَخْتَالاَ

لاَزِلْتَ تَفْتَرِشُ السُّرُور حَدَائِقًا *** فِيهِ، وَتَلْتَحِفُ النّعِيمَ ظِلاَلاَ

أما قصر الزاهي الذي شيده المعتمد بعد توليه الإمارة فإنه حظي بوصف شاعرة عبد الجيل بن وهبون الذي أشاد به في شعره فقال: [3]

وَلِلبَهْو البَهيِّ سَمَاءُ نُورٍ *** تَمَثَّلَ شَكْلُهَا خَلَقاً، خِدَالا

مُزَخْرَفَةٌ كَأنَّ الوَشِيَ أَلْقَى *** عَلَيْهَا مِنْ طَرَائِقِه خَيَالا

وَمَا خِلتُ السَمَاءَ يَكُونُ رَوْضاً ***وَلَا سَقْفاً يَكُونُ كَذَالكَ آلا

وهنا حديث عن محتواه الداخلي، وما يشمل عليه من ملامح الحسن المفضض والمذهب الذي يحاكي السماء في لونها عند ظهور الشفق، أما تماثيل القصر، وزخارفه ورسومه فقد نالت نصيبها من شعره فقال:

وكلُّ مصوّرٍ حيّ جماد *** يبّينَ فِيهِ زهواً أو دلالاَ

لَهُ عَمَلٌ، وَلَيسَ لَهُ حراكٌ *** وإفهامٌ وَمَا أدّى مقالاَ

---

[1] المقري ، م1،المصدر السابق، ص 148.

[2] ابن زيدون، الديوان، تح: يوسف فرحات، دار الكتاب العربي ،بيروت ،ط2، 1415ه/1994م، ص246،247.

[3] ابن بسام ، الذخيرة ،م1 ،المصدر السابق ، ص 508 .

وَيُفْرِغُ فيهِ مثلَ النَصلِ بِدعٌ *** مِنَ الأفيالِ لاَ يَشْكُوملالاَ[1]

ومن جيد الوصف ما خص به ابن الحداد مقر المعتصم بن صمادح صاحب المرية حين مدحه وقد على الشاعر بالرسم والنقوش الزخرفية والخطوات الهندسية التي ميزت القصرفزادت في جماله، وسحر بنيانه، فقال:

لُطِفَتْ حَنَيَاهُ، وَضُمِّنَ بَعْضُهَا *** بَعضاً ،وَسِحرُ ذَلكَ التَّضْمِينُ

كَتقَاطِعِ الأفْلاكِ إلاَ أنَّهُ *** مُتبايِنَان :تَحَرُّك وسُكُونُ

وَكأنَّ هُرمَس بَثَ حُكمَه بهِ *** وأدَار فيهِ الفِكر أفلاطُونُ

وكأنَّ راسِّم خَطه إقليدسٌ *** فَمَواثِلُ الأشْكَالِ فيهِ قُنُونُ

مِنْ دَائِرٍ وَمُكَعبٍ وَمُعينٍ *** وَمُحَبَّنٍ تَقْوِيسُهُ التَّحْجِينُ[2]

أما أبو الحسن البكري فإنه عني بوصف قصر المعتمد بن عباد، فوقف عند تماثيله ورسومه فقال:[3]

أقَرنُ الغَزالةِ أَمْ مَعقِلُ *** يَكَادُ الجَمادُ بهِ يَعْقِلُ

قرارَةُ أُنسٍ تُبِنُّ الظباء *** بهِ و الضرغامةُ البِسّلُ

تُجرّدُ أفْواهُهَا فِي الصفا *** سُيوفاً بِشمسِ الضُحى تُصْقلُ

وَلَيسَتْ سُيوفاً، وَلكِنّهَا *** لضامى الثَرَى مَنهَلٌ سلسلُ

تَشقُّ المِياهَ بِهنَّ المِيَاهُ *** كَمَا شقَّ فِي اللأمةِ المنصلُ

مَحَاسنُ للرَوضِ فَياضَةٌ *** بِهَا تضَعُ الأرضَ مَا تَحملُ

تُرضِّعُ أَطفَالَ أَشْجَارِهَا *** ضروعُ مَثَاعِبِهَا الحفّل

يَلي الحوضَ مِذنَبهُ مثلَمَا *** جَنا الرَّدفُ واندمج الأيْطلُ

---

[1] ابن بسام، الذخيرة ، م1،المصدرالسابق ، ص509 .

[2] المصدر نفسه ،ص698 .

[3] المصدر نفسه، ص570،571.

تلفتُّ الثَرى فِي بُرود الرَّبيع *** إذَا عَزَّت الرِضة الشَمألُ

وبعد هذا الوصف الممزوج بالصور العجيبة، يتحدث عن التماثيل والنقوش التي تزين مجلس الأمير فيقول:[1]

وَفيِي صَحْنِ ساَحَتِهِ مَجْلِسٌ *** شَرُودُ اللّحَاظِ بِهِ يُعْقَلُ

كَأنَّ تَمَاثِيلَ جُدْرَانِه *** عَلَى مَنْ يُقَابِلُهَا تُقْبِلُ

تُبِينُ بِفَصل الخطابِ الفصيح *** لدّيكَ وَإنْ أُخْرِسَ المِقْولُ

وبهذه الطريقة تتابع وصف البكري لمعالم القصر الجمالية، فنوه بسحرها وانفرادها ببراعة النقض، ودقة النحت والرسم النادر المثال وقد بدا إعجاب الوزير ابن مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري كاتب المنصور بن ابي عامر بباحة القصر العامري، ولفت انتباهه المجلس البديع الذي اتخذه الأمير وسط قصره محلا لجلوسه وسكنه فقال:[2]

لِلِيَاسمينِ تَطْلّعُ فِي عَرْشِهِ *** مِثلَ المليك عراه زهوٌ مطرقُ

وَنَضاَئِد مِن نَرجِس، وَبَنفْسَجٍ *** وجنيّ خيريّ، وَوَرْد يَعْبقُ

تَرنُو بِسِحر عُيونِها وتَكَادُ مِنْ *** طرَبٍ إليكَ بِلا لِسَان تَنطقُ

وَعَلى يَمِينِك سَوْسَنَات أطْلَعتْ *** زَهْر الرَّبيعِ فهنَّ حُسناً تشرقُ

فكأنَّمَا هِيَ فِي إختِلافِ رُقومِها ***رايَاتُ نَصرِك يَوم بَأسِك تَخفِقُ

فِي مَجلسٍ جمعَ السُّرورَ لأهْلِهِ *** مَلكٌ إذا جَمعْت قَنَاه يَفرقُ

ومن بديع الوصف ماجاء على لسان أبي محمد المصري في صفة قصرطليطلة:

قَصْرٌ يُقَصّر عَنْ مَداهُ الفَرقَدُ *** عَذُبَتْ مَصَادِرُه وَطابَ المَوْرِدُ

نَشَرَ الصَبَاحُ عَليهِ ثَوبَ مَكَارِمٍ *** فَعَلَيْه أَلْوِيَةُ السَعادَة تُعْقَدُ

وَكَأنَّمَا المَأمُونُ فِي أَرْجَائِه *** بدْرُ تمام قَابَلَتْهُ أسْعُدُ

[1] ابن بسام ، الذخيرة،م1، المصدرالسابق، ص 508 .
[2] المقري، م1،المصدر السابق، ص 530.

وَكَأَنَّمَا الأَقْدَامُ فِي رَاحَاتِهِ *** دُرٌّ جمادٌ ذَابَ فِيهِ العَسْجَدُ[1]

وصف ابن حمديس لقصر المنصور بن أعلي الناس حين قال:[2]

قَصْرٌ لَوْ أَنَّكَ قَدْ كَحَلْتَ بِنُورِهِ *** أَعْمَى لعَادَ إِلى المَقَامِ بَصِيرَا

واشْتَقَّ مِنْ مَعَنَى الحَيَاةِ نَسِيمَه *** فَيَكَادُ يُحْدِثُ للعِظَامِ نُشورَا

أعيت مصَانِعه عَلى الفُرْسِ الأُلى *** رفَعُوا البِناءَ وَأَحْكَمُوا التَدْبيرَا

وَمضَتْ عَلى الرُّومِ الدُّهُورُ وَمَا بَنَوْا*** لِمُلُوكِهِمْ شبَهاً لَهُ وَنَظِيرَا

أذكَرْتنَا الفِردَوْسَ حِينَ أَرَيْتَنَا *** غُرَفاً رَفَعَتَ بِناءَها وَقصُورَا

أبْصَرْتُهُ فَرَأَيْتُ أَبْدَعَ مَنظَرٍ *** ثُمَ انْثَنَيتُ بِنَاظِرِي مَحْسُورَا

وقد حظي القصر المبارك الذي أنشأه المعتمد بن عباد بإشبيلية باهتمام الشاعر عبد الجليل بن وهبون ووصفه فقال:[3]

فَيا أَيُّهَا القَصْر المُبَارَكُ لاَتَزلْ *** وَأَنتَ جَدِيدُ الحُلّتينِ قَشِيبُ

وَيَأَيُّهَا المَلكُ المؤيدُ دُمْ بِهِ *** لِيُتْرَع كُوبٌ أَوْ يثارَ عكوبُ

أَسِوَ فِيهِ سَرْحَ اللَحظ مِنْ طَرفِ باسل *** مَراد الوغَى فِي نَاظِرَيه عشيبُ

سَتَظأرُه أُمُّ النُجُومِ تَحلُّهُ *** لَهَا كَوكَبٌ لاحَان مِنهُ غُروبُ

مُحِيطٌ بِمَا أَخبَبتَ مِن كُلّ صَورةٍ *** تَرُوقُكَ حَتَى شكْلُهُنَّ قَرِيبُ[4]

ابن حمديس الصقلي الذي وصف دار بناها المعتمد بن عباد فقال:

إِذَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا خِلْتَ أَنَّهَا *** تَقُولُ بِتَرْحِيبٍ لِدَاخِلِهَا :أَهلاَ[5]

---

[1] المقري،ج1، المصدر السابق، ص 529.
[2] ابن حمديس، الديوان، المصدر السابق، ص 545 .
[3] ابن بسام ،الذخيرة،م2،المصدر السابق،ص517.
[4] ابن بسام،الذخيرة، م2،المصدر السابق، ص 517،518.
[5] ابن حمديس، الديوان، المصدر السابق، ص 378.

وكان أبو يحي بن صمادح الأمير المعروف أحد الموهوبين في مجال القريض وقد وصف بركته التي أنشأها بالصماد حية فقال:[1]

كَأَنَّ انسِيَابَ المَاءِ فِي صَفَحَاتِهَا *** حُسَامٌ ثَقِيلُ المتنِ سُلَّ مِن الغِمْدِ

تَفُورُ بِهِ فوَّارَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ *** لَهَا مُقْلَةٌ زَرقَاءُ مَوْصُولَةُ السَّهْدِ

أَدَرْنَا بِهَا كَأْسًا كَأَنَّ حَبابَهَا *** حَبابُ سَقِيُط الطَّلِّ فِي وَرَقِ الوَرْدِ

ومن أجمل الوصف ما جاء على لسان ابن حمديس الصقلي أثناء تنويهه ببركة قصر المنصور بن أعلي التي برع الصناع في إنشائها فالأشجار المصنوعة من ذهب وفضة على جوانبها ترمي فروعها بالمياه والأسود القاذفة للماء على حافتها تبدو في ألطف منظر وأحسن تصوير وفي كل تلك المناظر يقول:[2]

وَضَرائِحٌ سَكَنتْ غَرِينَ رِئَاسَةٍ *** تَرَكَتْ خَرِيرَ المَاءِ فِيهِ زَئِيرَا

فَكَأَنَّمَا غَشّى النَّضار جُسُومَهَا *** وَأَذَابَ فِي أَفْوَاهِهَا البِلّورَا

أُسُدٌ كَأَنَّ سُكُونَهَا مُتَحَرِكٌ *** فِي النَفس لَو وجدتْ هُنالَكَ مُثِيرَا

وَتَذَكَّرتْ فتَكَاتِها فَكَأَنَّمَا *** أَقعَتْ عَلى أَدْبَارِهَا لِتَثُورَا

وَبَدِيعةِ الثَمَراتِ تَعْبُر نَحْوَهَا *** عَينَايَ بَحرَ عَجَائِبٍ مسْجُورَا

شَجَرِيةٍ ذَهَبِيةٍ نَزعَتْ إِلَى *** سِحر يَؤثِر فِي النَهَى تَأْثِيراَ

قَدْ صَوْلَجَتْ أَغْصَانُهَا فَكَأَنَّمَا *** قنصَتْ لَهُنَّ مِن الفَضاءِ طُيورَا[3]

ووصف الشاعر أبو الحسن بن هارون الشنتمري بركة مائية في حديقة غناء بمدينته فقال:

وَحَدِيقَةٍ شَرِقَتْ بِغمرِ نميرِهَا *** يَحْكِي صَفاءَ الجَوِّ صَفْوُ غَدِيرِهَا

تُجْرِي المِيَاهَ بِهَا أُسُودٌ أُحْكِمَتْ *** مِنْ خَالِصِ العِقيانِ فِي تَصْوِيرِهَا

---

[1] الأصبهاني، خريدة القصر وجريدة أهل العصر، تح: عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم ،دار نهضة مصر الفجالة، مصر، ط1، 1964م، ص171.

[2] ابن حمديس،الديوان، المصدر السابق، ص545 .

[3] المصدر نفسه، ص545.

وَكَأَنَّهَا أُسْدُ الشَّرى فِي شَكْلِهَا *** وَكَأَنَّ وَقْعَ المَاءِ صَوْتُ زَئِيرِهَا[1]

ومن النوافير البديعة التي نوه بها الشعراء نافورة قصر المنصور بن أبي عامر في قرطبة وقد ذكرها وزيره وكاتبه الشاعر أبو مروان الجزيري فقال:[2]

وَتوسّطَتْهَا لجّة فِي قَعْرِهَا *** بِنتُ السّلاحِفِ مَاتَزَالُ تُنَقْنِقُ

تَنْسَابُ مِنْ فَكّيْ هِزْبَر إِنْ يَكُن *** ثَبْتَ الجِنَانِ فَإن فَاه أَخْرَقُ

صَاغُوهُ مِن نِدّ، وَخَلّق صَفْحَتي *** هَادِيه مَحضُ الدُرّ فَهُو مُطَوَّقُ

وأما الأعمى التطيلي فإنه أعجب بأسد مصنوع من ،نحاس يقذف ماء من فيه في روضة مزدهرة فقال:[3]

أَسَدٌ وَلَو أَنِّي أُنَا *** قِشْهُ الحِسابَ لَقُلتُ صَخْرَهْ

وَكَأَنَّهُ أَسَدُ السَمَا *** ءِ يَمجّ مَنْ فِيهِ المَجَرّهْ

يقول ابن زمرك في قصر الحمراء:[4]

يَا مَنْ يَحِنُّ إِلَى نَجْدٍ وَنَادِيهَا *** غَرْنَاطَةٌ قَدْ ثَوَتْ نَجْدُ بِوَادِيهَا

قِفْ بِالسَّبِيكَةِ وَانظُرْ مَا بِسَاحَتِهَا *** عَقِيلَةٌ وَالكَثِيبُ الفَرْدُ جَالِيهَا

تَقَلَّدَتْ بِوِشَاحِ النَّهْرِ وَابْتَسَمَتْ *** أَزْهَارُهَا وَهْيَ حَلْيٌ فِي تَرَاقِيهَا

وَلِلسَّبِيكَةُ تَاجٌ فَوقَ مَفْرِقِهاَ *** تَوَدُّ دُرُّ الدَّرَارِي لَوْ تُحَلِّيهَا

فَإِنَّ حَمْرَاءَهَا وَاللهُ يَكْلَؤُهَا *** يَاقُوتَةٌ فَوقَ ذَاتِ التَّاجِ يُعْلِيهَا

بُرُوجُهَا لِبُرُوجِ الأُفْقِ مُخْجِلَةٌ *** فَشُهْبُهَا فِي جَمَالٍ لاَ تُضَاهِيهَا[5]

[1] ابن بسام، الذخيرة،م1، المصدر السابق، ص638 .
[2] المقري،م1، المصدر السابق،530 .
[3] التطيلي، الديوان، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ،لبنان، ط1،1963م، ص 49.
[4] ابن زمرك، الديوان، تح: محمد توفيق النّيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997م،500
[5] ابن زمرك، الديوان ،المصدر السابق،ص501.

وكذلك يقول أبو جعفر القليوبي عند رحيله عن غرناطة، واصفا روعة المنظر الذي يظهر فيه قصر الحمراء متربعا على عرش غرناطة:

وَلمّا وَقَفْتُ لِلْوَدَاعْ وَقَدْ بَدتْ *** قِبَابٌ بِنَجْدٍ قدْ عَلَتْ ذلكَ الوَادِي

نَظَرتُ فَأَلْفيتُ السبيكَةَ فِضةً *** لِحُسنِ بَياضِ الزهرِ فِي ذلكَ النادِي

فَلَمَّا كَسَتْها الشَمسُ عادَ لُجَيْنُهَا *** لهَا ذَهباً فاعجَب لإكسيرهَا البادِي[1]

ويصف ابن الخطيب بناء يبدو أنه أحد قصور الحمراء فيقول:[2]

وَلاَ مِثْلَ شَفَّافٍ الضِّيَاءِ بَنَيْتَهُ *** عَلَى الطَّائِرِ المَيْمُونِ وَالطَّالِعِ السَّعْدِ

تَوَشَّحَ مِنْ زُهْرِ النُّجُومِ قِلاَدَةً *** وَمِنْ فَلَقِ الإِصْبَاحِ أَصْبَحَ فِي بُرْدِ

حَكَيْتَ مِنَ الزُّلِيجِ صَفْحَةَ أَرْضِهِ *** بِلَوْنَيْنِ مُبْيَضٍّ الأَدِيمِ وَمُسْوَدِّ

كَمَا رُقِمَ الكَافُورُ بِالمِسْكِ وَالْتَقَتْ*** ذَوَائِبُ مِنْ شَعْرٍ أَثِيثٍ عَلَى خَدِّ

زنيت جدران الحمراء وطيقانها ومسراتها بنقوش شعرية، ويتحدث ابن الجياب عن هذه النقوش ويصف روعتها:[3]

حِيطَانُهَا فِيهَا رَقُومٌ أَعْجَزَتْ *** أَمَدَ البَلِيغِ فَحُسْنُهَا لاَ يُوصَفُ

رَاقَتْ وَناظَرَ كُلَّ شَكْلٍ شَكْلُهُ *** فِي نِسبَةٍ فَمُوَشَّعٍ وَمُصَنَّفُ

مَهمَا لحظتَ رأيتَ نَقْشاً وُشِّيتْ *** أَنْوَاعُهُ فَمُذَّهَبٌ وَمُزَخْرَفُ

يصف ابن فركون قبتين قام يوسف الثالث بتجديدهما، فيقول:

أَنَا قُبَّةٌ للصّنْعِ إذْ *** أَنَا لِلصّنِيعَةِ مَوضِعُ

قَابَلْتُهُ مِثْلِيَ فَانْثَنَتْ *** فِي نَيْلِ وَصْفِيَ تَطْمَعُ

[1] المقري، ج2، المصدر السابق ص678.
[2] لسان الدين الخطيب ،الديوان، المصدر السابق، ص297 .
[3] النقراط علي محمد ،ابن الجياب الغرناطي-حياته وشعره، الدار الجماهيرية، ط1.بنغازي،، ص107.

وَتَرى البُحَيرَة بَيْنَنَا *** مِرآةُ هِندٍ تَلْمَعُ

وَالخَصّةُ العُلْيَا بِهَا *** كَاسٌ بِكَفٍّ يُرْفَعُ

وَالمَاءُ فِي جَنَباتِهَا *** مُتَدَفّقٌ مُتَدَفِّعٌ[1]

ويأتي ابن الجياب على ذكر القبة ذات النوافذ الزجاجية التي أنشأها السلطان محمد الثالث فتبدو كالعروس التي تزينت بشتى الألوان، فيقول:[2]

يَاقَصْرَ نَجدٍ أنتَ أكرمُ مَنزِلا *** فَلقَد شفعتَ الحُسن بالإحْسَانِ

فَكَأَنَّ قُبَتَكَ العَرُوسُ تبرّجَتْ *** بِمَدَ الزفَافِ يُحُسنِهَا الفنّانِ

ويصف ابن الحداد البناء الخارجي لقصر الصمادحية ،فيقول: [3]

أَوْ لَوْ بَدَا لِلرُّومِ مَعْجَزُ صُنْعِهِ***أَبْدَى السُّجُودَ إِلَيْهِ قُسْطَنْطِينُ

رَأْسٌ بِظَهْرِ النُّونِ إِلَّا أَنَّهُ *** سَامٍ فَقُبَّتُهُ بِحَيْثُ النُّونُ

فِي رَأْسِهِ سَبَقَ النَّعَامَ سَمَاؤُهُ *** مِنْ دُونِهِ دَمْعُ الغَمَامِ هَتُونُ

قَصْرٌ تَبَيَّنَتِ القُصُورُ قُصُورَهَا *** عَنْهُ وَفَضْلُ الأَفْضَلَيْنِ يَبِينُ

هُوَ جَنَّةُ الدُّنيَا تَبَوَّأَ نُزْلَهَا *** مَلِكٌ تَمَلَّكَهُ التُّقَى وَالدِّينُ

وَكَأَنَّ بَانِيَهُ سِنمَّارٌ فَمَا *** يَغْدُوهُ تَحْسِينٌ وَلَا تَحْصِينُ

يصف الشاعر جمال القصر مشيرا إلى علوه، كما يشير إلى القبة المستديرة التي تعلوه وإلى قوة بنائه ومتانته وإتقان صنعه، حيث بنّي على يد أمهر المهندسين والبنائين بدليل استلهامه من الموروث التاريخي شخصية سنيمار البناء المشهور، الذي بنى قصر الخَوَرْنَق للنعمان بن المنذر المعروف بجمال مظهرو وإتقان بنائه.

[1] ابن فركون، الديوان، تح: محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ط1، 1407ه/1987،ص276.

[2] النقراط علي محمد، المرجع السابق، ص 249.

[3] ابن الحداد، الديوان، تح: علي يوسف الطويل، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت ، لبنان، 1988،ص274، 275.

➢ **2)وصف البناء الداخلي للقصور:** لم يكتفي الشعراء بوصف القصور من الخارج بل حتى الجانب الداخلي كان له نصيب من الوصف، من وصفٍ للبهو والمجالس والبرك ... .

أ)وصف البهو: تعرض ابن وهبون لوصف قصر الزاهي من الداخل ،يقول:[1]

وَللبَهْوِ البَهيِّ سَمَاءُ نُورٍ *** تمَثَّلَ شَكْلَهَا خَلقاً خِدَالا

مُزَخْرَفَةٌ كَأَنَّ الوَشِيَ أَلْقَى *** عَلَيْهَا مِنْ طَرَائقِهِ خَيَالا

فجدرانه زخرفت بزخارف نباتية متشابكة مع بعضها ،وذات ألوان متعددة شبيهها بالوشي ليدل على الغلو في الزخرفة وعلى الدقة المتناهية في الصنع ،ثم ينتقل ليصف سقفه المحزم حيث زخرف بأشكال هندسية ذات حلقات متداخلة ببعضها وهذا يدفعنا للاستخلاص أن مادة صنعه كانت من الخشب المحزم، ة بدليل دخول الضوء والهواء من خلال أشكاله الهندسية إلى البهو.

ب)وصف المجالس: كذلك وصف الشعراء مجالس قصور حكامهم، حيث تأنقوا في بناءها فزينوا جدرانها برسومات نباتية وحيوانية ،كما اعتنوا برصف أرضيتها بأجود أنواع الحجارة كالمرمر والرخام والفسيفساء، وأقاموا فيها البرك الصناعية والنوافير المائية لتزيد من جمالها:[2]

وَفِي صَحْنِ سَاحَتِهِ مَجْلِسٌ *** شَرُودُ اللحَاظِ بِهِ يُعقَلُ

كَأَنَّ تَمَاثِيلَ جُدْرَانِهِ *** عَلَى مَنْ يُقَابِلُهَا تُقْبِلُ

تُبِينُ بِفَصْلِ الخِطَابِ الفَصِيحِ*** لَدَيْكَ وَإِنْ أَخْرِسَ المِقْوَلُ

وَتَرْنُو وَمَا رَاقَهَا مَنْظَرٌ *** وَتُصْغِي وَمَا رَابَهَا أَزْمَلُ

تَوَدُّ الكَوَاكِبُ لَوْ أَنَّهُ *** لَهَا يَعْتَلِي أَوْ لَهُ تَنْزِلُ

كَأَنَّ أَعَالِيَهُ رَوْضَةٌ *** وَمَرْمَرَ أَسْفَلِهِ جَدْوَلُ

وَيَكْرَعُ فِي مَاءِ لأَلائِهِ *** ظِمَاءُ العُيونِ لَا تَنْهَلُ

[1] ابن بسام ،الذخيرة، م1،المصدر السابق، 508 .
[2] المصدر نفسه، ص571 .

يصفه من الداخل بأنه يحتوي على ساحة دائرية تؤدي إلى مجلس تأنق بانيه في زخرفته حيث زينت جدرانه بتصاوير آدمية جميلة الهيئة، فيلجأ إلى تشخيصها، فالناظر إليها يشعر أنها تقبل عليه وتتحدث إليه، وقد زخرف سقفه بزخارف نباتية جميلة متشابكة لونت بألوان عدّة ورصفت أرضيته بالمرمر الأبيض اللامع الشفاف، كما بنى في داخله حوض من الماء الجاري الصافي ينعكس صفاءه على أرجاء المجلس كافة، مشيرا إلى مادة صنعه وهي الرخام الزهري.

ويذكر أن ابن السيد البطليوسي حضر مجلس عبد الرحمان الظافر بن ذي النون في قصرهحيث تأنق صاحبه في بنائه وفرشه، يقول المقري في حقّه: «كان مجلسا رفعت فيه المنى لواءها، وخلعت عليه أضواءها، فرفّت إليه المسرّات أبكرها، وفارقت إليه الطير أوكارها" ،فأدهش الشاعر جمال المجلس وبخاصة أرضية يقول:[1]

وَمجْلسٍ جمّ المَلاهِي أزْهَرَا *** ألذُّ فِي الأَبْغَانِ مِنْ طَعْمِ الكَرَى

لَمْ تَرَ عَيْنِي مِثلهُ وَلا تَرَى *** أَنفَسَ فِي نَفْسِي وَأبْهَى مَنْظَرَا

وَنَسْجِ قُرْقُوبٍ ونسْجِ تُسْتُرَا *** خِلْتَ الرَّبِيعَ الطَّلْقِ فِيهِ نَوَّرَا

يسحر مجلس الأمير عين الشاعر، فهو لم يرى أجمل منه في حياته، حيث زخرفت أرضيته برسومات نباتية متشابكة ومتصلة مع بعضها كأنها أجود أنواع السجاد وهي ليست كذلك ذاكرا أسماء المدن التي اشتهرت في صناعة السجاد، فرسوماته أشجار عليها نوّارها وأزهارها كثيرة ومتنوعة فكأنه رسم فصل الربيع بألوانه الجميلة على أرضيته.

ج)وصف البرك والتماثيل: امتازت قصور حكام الأندلس ومجالسهم وأفنيتهم بألوان شتى من الحسن والجمال، فبالغ أصحابها في تزيينها وصور زخرفتها، ومن مظاهر تزيينها إقامة التماثيل المأخوذة من صور الحيوانات والإنسان فيها، حيث زينوا بها مجالس قصورهم وساحاتها وحدائقها، ونصبوها حول برك قصورهم ونوافيرها، وأجروا المياه عبر أجوافها، ولابن وهبون قصيدة طويلة في وصف قصر "الزاهي" وفيها يصف بركة القصر وما يحيط بها من تماثيل، فيقول:[2]

فَلَمْ أَعْدلْ بِمَجْلِسِهِ مُذَاباً *** وَلَمْ أُنكِر لِمَدْوَتِهِ اشْتِعَالا

وَكُلُّ مُصَوَّرٍ حَيٍّ جَمَادُ *** تَبَيّنَ فِيهِ زَهْواً أَوْ دَلالا

[1] المقري،م1، المصدر السابق، ص650.
[2] ابن بسام ، الذخيرة، م1 ، المصدر السابق، ص766.

لَهُ عَمَلٌ وَلَيسَ لَهُ حَرَاكٌ *** وَإِفْهَامٌ وَمَا أَدَى مَقَالا

وَيُفْرِغُ فِيهِ مِثْلَ النَحْلِ بِدْعٌ *** مِنْ الأَفْيَالِ لَا يَشكُو مِلَالا

رَعَى رَطْبَ اللُّجَينِ فَجَاء صَلْداً *** وَقَاحاً قلّمَا يَخْشَى هُزَالا

كَأَنَّ بِهِ عَلَى الحيوَانِ عَتْباً *** فَلَم يَرْفَع لِرُؤيتِهَا قُذَالا

يستحوذ جمال البركة وصفاء مياهها علة مخيلة الشاعر، لانعكاس الشموع عليها الموقدة حولها، ثم يقع نظره على ما يحيط بها من تماثيل حيوانية على هيئة أفيال، كان من بينها تمثال فيل ضخم صنع من الفضة الخالصة، يكرعُ المياه من خرطومه بشكل مستمر دون توقف، ثم يبين هيئة نصبه فرأيته متجه إلى الأسفل نحو البركة، بدليل تصوير الشاعر له إنه لا يرفع نظره عن الأرض، فهو مجد في عمله لا يعبأ بما يحصل حوله، كأن بينه وبين الحيوانات التي حوله خصومة، لدرجة أنه لا يلتفت إليها ابداً.

وقد استحوذ سحر تلك البركة على مخيلة العديد من الشعراء، وأدهشتهم تماثيلها الفضية ومن ذلك وصف أبي بكر بن الملح، حيث أدهشه منظر الماء وهو يخرج من خرطوم الفيل الفضي، وقد أوقدت شمعتان على جانبيه، إذ كان يجالس المعتمد بن عباد عندها في ليلة ما فارتجل في ذلك عدّة مقطوعات، يقول:[1]

كَأَنَّمَا النَّارُ عِندَ الشَّمعَتينِ سَنىً *** وَالمَاءُ مِن نُفَذِ الأَنبُوبِ يَنْسَكِبُ

غَمَامَةٌ تَحتَ جُنْحِ اللّيلِ هَامِعَةٌ *** فِي جَانِبَيهَا جَنَاحُ البَرْقِ يَضْطَرِبُ

يمزج الشاعر بين وصفه للشمعتين والماء الذي يخرج من فم الفيل دون انقطاع نحو البركة والظواهر الطبيعية، فيصور ضوء الشمعتين بالبرق، والبركة بالغمامة التي تتوسط جنح الليل موظفا لمعان البرق بضوء الشمعتين وصوت البرق بصوت خروج الماء من خرطوم الفيل.

وقال في ذلك:[2]

وَمِشْعَلَيْنِ مِنَ الأَضْوَاءِ قَدْ قُرِنَا *** بِالمَاءِ وَالمَاءُ بِالدُّولَابِ مَنْزُوفُ

لاحَا لَعَيْنيَّ كَالنَّجْمينِ بَينَهما *** خَطُّ المَجَرَّةِ مَمْدُودٌ وَمعطُوفُ

[1] أبي بكر بن الملح، مجلة الجامعة الإسلامية، م9،العدد1،ص311/38،2001،ص 317.
[2] المرجع نفسه، ص318.

يقف الشاعر المستلهم الحائر المندهش بين بريق الشمعتين الحقيقي وانعكاسه على مياه لبركة والماء المتدفق من خرطوم الفيل الفضي ب خط المجرة الذي يسير على شكل ملتوٍ.

يصف ابن الحداد لمعان قصر الصمادحية من الداخل فيقول:[1]

مُتَلَأْلِئٌ فَكَأَنَّمَا سَالَ المَهَا *** فِيهِ وَذَابَ اللُّؤْلُؤُ المَكْنُونُ

يبهر هذا القصر العيون لشدّة لمعانه أرضيته، حيث رصعت بالرخام الأبيض اللامع الشفاف ويظهر هذا من قوله:"...سال المها فيه وذاب اللؤلؤ..."، فاستعماله للفظتي: "سال" و"ذاب" توحي بأن كلا من مادتي البلور واللؤلؤ أصبحت سائلة ومنتشرة على مساحات شاسعة فيه فعكس بريقهما ولمعانهما في أرجاء القصر كافة.

[1] ابن الحداد، الديوان ، الصدر السابق، ص273.

الفصل الثالث

العمارة الأندلسيّة في شعر ابن خفاجة

وصف الرياض

وصف الدار

منتديات أنيس الأمل

طبيعة الاندلس الساحرة ألّهمت الشعراء فراحوا ينظمون دّررا في وصف رياضها ومباهج جنانها ،ومن بين هؤلاء الشعراء ابن خفاجة الذي تُظهر أشعاره تعلقه ببيئته الأندلسية وحّبه الجّم لها ،وهذا ما جعله يفضلها على غيرها من البيئات ،إذْ عاش الشاعر حياته الهادئة في قريته الجميلة الوادعة .[1]

وربما كانت صرخة ابن خفاجة أصدق تعبير عن هيامه بمسقط رأسه الذي يفضله على جنة الخلد ،إذ يقول مخاطبا أهل الأندلس :[2]

يَا أَهْلَ أَنْدَلُسٍ! للهِ دَرُّكُمُ *** مَاءٌ وَظِلٌّ وَأنهَارٌ وأشْجَارُ

مَاجنّةُ الخُلدِ إلاَّ فِي دياركُمُ! *** وَهذه كُنتُ لو خُيِّرتُ ، أَخْتَارُ

ومهما تعددت أغراض الشاعر في شعره فإن الطبيعة تظل بارزة ،فإذا فرح شاركته حبورها فهو مغرم بأساليب البيان يستقومها من الطبيعة كموضوع وحي لا ينضب ،فالطيور قيام ،وشدوّها غناء ،ورجعها موسيقى ،والندى درر، والنور عقد والورق عطاء ،وتأكيد على ذلك يقول ابن خفاجة في وصف الحديقة :[3]

وَصَقِيلَةِ النُّوارِ تَلْوِي عِطْفَهَا *** ريحٌ تَلُفّ فُروعَهَا مِعطارُ

عَاطَى بِهَا الصَّهبَاءَ أَحْوَى أَحْوَرُ *** سَحّابُ أَذْيالِ السُّرَى سَتَّارُ

وَالنَّوْرُ عِقدٌ وَالغُصُونُ سَوالِفُهُ *** وَالجِزْعُ زَنْدٌ وَالخَلِيجُ سِوَارُ

بِحَدِيقَةٍ مَثَلَا اللَّمَى ظِلاًّ بِهَا *** وَتَطَلّعَتْ شَنَبًا بِها الأنْوارُ

غَنّاءَ أَلْحَفَ عِطفَها الوَرَقُ النَّدِي *** وَالتَفّ فِي جَنَباتِها النُّوّارُ

فَتَطَلّعتْ فِي كُلِّ مَوْقِعِ لَحظَةٍ *** مِنْ كُلِّ غُصْنٍ صَفْحَةٌ وَعِذَارُ

[1] عليّ محمد سلامة، المرجع السابق، ص366.
[2] ابن خفاجة، الديوان، المرجع السابق، ص364.
[3] المرجع نفسه، ص281.

وقال ان خفاجة يصف مجلس أنس مع أصحابه، وبين أيديهم ورد قد فرش ونوار نارنج عليه قد نثر:[1]

وَالنَّورُ مُبْتسِمٌ وَخَدُّ *** الوَردِ مَخْطوط الْنِقَابْ

يَندَى بأخلاقِ الصّحابِ *** هُنالكَ لا بِنَدى السَّحَابْ

وَكِلاهُمَا نَثْرٌ كَما *** نَثَرُوا القَوَافِيَ فِي الخِطَابْ

وقال في ذلك المعنى أيضاٍ:[2]

وَقَدْ تَأَرَّجَ نَوْرٌ *** غَضٌ يُخَالِطُ وَرْدَا

كَمَا تَبَسَّمَ ثَغْرٌ *** عَذْبٌ يُقَبِّلُ خَدَّا

هنا وصف لكلتا الزهرتين ،النّوْر الأبيض العطرة رائحتها، والورد الأحمر، في القطعة الأولى وصف حالة النّور الأبيض الذي يتفتح في وقت الصباح، وكأنه مبتسم، وحالة الورد الذي يكشف وجهه، وكلاهما حسن المظهر والرائحة، وفي القطعة الثانية فقد شبه النّوار في ابيضاضه بثغر يقبل خدا احمر وهو الورد.

لقد تغنى ابن خفاجة كثيرا بموطنه الأندلس، وأشاد بجمالها، وعدّها جنة لما فيها من رياض نضرة خصبة على نحو تصّوره لنا أشعاره، فقد وصف لرياض بجميع مظاهرها ومباهجها من أوراق خضر، وأغصان غضة، وأنوار وأزاهير، وتغريد الطيور، ومياه جارية حتى أصبحت منظرا رائعا لتلك الرياض، وخي مثال يشهد إشادة الشاعر بهذه العناصر، وغراه بالرياض قوله في نزهة للروض في فناء داره:[3]

سَكْرَى، يُغَنّيهَا الحَمَامُ فَتَنْثَنِي *** طَرَباً وَيَسْقِيهَا الغَمَامُ فتَشرَبُ

وَ الرّوضُ وَجهٌ أَزهَرٌ وَالظّلُّ فَر *** عٌ أَسوَدٌ وَالمَاءُ ثَغرٌ أَشنَبُ

فِي حَيثُ أَطرَبَنا الحَمَامُ غَشيّةً *** فَشَدا يُغَنّينَا الحَمَامُ المُطرِبُ

وَاهتَزّ عِطفُ الغُصنِ مِن طَرَبٍ بِنا ؛ *** وَافتَرّ عَن ثَغرِ الهِلالِ المَغرِبُ

[1] ابن خفاجة، الديوان ، المصدر السابق ،ص80.
[2] المصدر نفسه، ص81.
[3] المصدر نفسه، ص289.

فَكأنَّهُ وَالحُسنُ مُقتَرِنٌ بِهِ *** طَوقٌ عَلى بُردِ الغَمامَةِ مُذهَبِ

فالشاعر يقدم لنا لوحة جميلة للطبيعة بعناصرها المختلفة من الشجرة التي تلاعب أغصانها الرياح، فتنثني سكرى على سماع غناء الطير وتساقط المطر، ثم يمضي إلى ذكر عناصر أخرى ، تلون تلك اللوحة من الروض المزهر، وظّل الشجرة الظليل وماء الجدول البارد والنسائم الطيبة اللينة، ومرة ثانية أشار إلى الحمام الذي يشدو بألحانه، وغصون الشجرة التي تلاعبها الرياح ،وما يزيد هذا الروض جمالا ورونقاٍ الهلال بعد الغروب فكأنه طوق من ذهب يزيّن ثوب الغمامة، وهذه اللوحة الطبيعية تنم عن نفسية مرحة متفاعلة مع الحياة وجمال الطبيعة .

وفي كل مرة ينشغل فيها الشاعر بوصف الرياض فإنه لا يغفل أن يذكر الشجرة بعينها، وان يكثر في وصفها وأغصانها وأثمارها وما يحيط بها، حيث يقول ابن خفاجة في قصيدة يصف فيها شجرة منورة:[1]

يَا رُبَّ مَائِسَةِ المَعَاطِفِ تَزْدَهِي*** مِن كُلّ غُصْنٍ خَافِقٍ بِوِشَاحِ

مُهتَزّةٍ يَرتَجّ مِن أعطَافِها *** مَا شِئتَ مِن كَفَلٍ يَمُوجُ رَدَاحِ

نَهضَت ذَوائِبهَا الرِّيَاحُ غَشِيّةً *** فَتَمَلّكتهَا هِزَّةُ المُرتَاحِ

حَطَّ الرَّبِيعُ قِنَاعَهَا عَن مَفرِقٍ *** شَمطٍ كَمَا تَرتَدّ كَاسُ الرَّاحِ

لفاء حاك لها الغمام ملاءة *** لبست بها حسنا قميص صباح

فالشاعر يصف الشجرة بأنها متمايلة ،معجبة بنفسها، وأنها ذات أغصان منورة ورطبة والشاعر قد استعار وشاح المرأة المرصع بالجواهر للدلالة على الأغصان المنورة، وشبهها عندم تهتز بأرداف امرأة مكتنزة ضخمة، وقد أمطر عليها، وكأن الغمام قد حاك لها قميصا أبيض بلون الصباح.

يقول ابن خفاجة في وصف روضة من قصيدة مطلعها: [2]

وَكِمَامَةً حَدَرَ الصَّبَاحُ قِنَاعَهَا *** عَن صَفْحَةٍ تَندَى مِنَ الأَزْهَارِ

[1] ابن خفاجة، الديوان، المرجع السابق، ص281،282.
[2] المصدر نفسه، ص336.

فِي أَبطُعٍ رَضِعَتْ ثُغُورُ أَقاحِهِ *** أَخلافَ كُلّ غَمامَةٍ مِدرَارِ

فَجَلَتْ حَيثُ المَاءُ صَفحَةُ ضَاحِكٍ *** وَالطَّلّ يَنضَحُ أَوجُهَ الأَشجَارِ

هنا وصف للروض في وقت الصباح حيث إنه يكشف قناع الظلام عن الأكمام فتبدو أزهارها ندية، وأما ثغور الأقاحي فترضع من أخلاق الغمام، وصفحة الماء تضحك، والطل يرش أوجه الأشجار، فيكون الصباح بشرى للجميع وخاصة الرياض بيوم جديد.

وعلى الرغم من غرام الشاربين بالطبيعة وعقد مجالسهم بين أحضانها فإنهم عقدوا مجالسهم في الأديرة والبيوت ويقدم لهم الشراب وأنواع الطعام وسقاة تدير الكؤوس بينهم حيث يقول ابن خفاجة :[1]

وأَسْقيتُهَا مِن دِيمَةٍ إِثْرَ دِيمَةٍ *** فَمَالَتْ بِهَا الجُدرَانُ سَطراً عَلَى سَطرِ

فَمِن عَارِضٍ يَسْقِي وَمِن سَقفِ مَجلسٍ *** يُغَنّي وَمِن بَيتٍ يَمِيلُ مِن السّكْرِ

إِذَا مَا هَوَى رُكنٌ فَأَهْوى فَإِنّنِي *** لأَشبَهُ مِن الغَنسَاءِ تَبكِي عَلَى صَخرِ

هو في غزلياته الممتزجة بالخمر يذكرنا بأبي نواس ولاسيما عندما يجتمع غزله مع ذكر الخمر في مجالس اللهو يقول ابن خفاجة :[2]

أَلاَرُبَّ يومٍ لي بِبابِ الزَّخَارِفِ *** رَقِيقِ حَواشِي الحُسْنِ حُلوِ المَعَاطِفِ

لَهوتُ بِهِ وَالدّهرُ وَسْنَانُ غافِلٌ *** وَغُصنُ الصِّبا رَيّانُ لَدنُ المَعَاطِفِ

أُغَازِلُ ظِبَاءَ الكَاسِ وَالآسِ فِتيَةٌ *** تَخَايَلُ سُودَ العُذْرِ بِيضَ السّوالِفِ

فالشاعر ينظر إلى الطبيعة نظرة محب تمثل نفسية المحبة التي يوزعها جمال الطبيعة وجمال الإنسان وفي ذلك يقول ابن خفاجة :[3]

يَا بَانَةً ،تَهْتزُّ فِينَانَةً *** وَرَوضَةً تَنفَحُ مِعْطَارَا

لِلهِ أَغْطَافُكِ مِنْ خُوطَةٍ *** وَحَبَّذَا نَوْرُكِ نُوّارَا

---

[1] ابن خفاجة، الديوان، المصدر السابق، ص308.

[2] المصدر نفسه، ص201.

[3] المصدر نفسه، ص125.

نلاحظ في هذين البيتين أن شغف ابن خفاجة بذكر الجنان والرياض جعله يحمل لقب الجنان فإذا وصف المرأة نابت نضارة الطبيعة عنها رامزة اليها فشبه اعطاف المرأة بالغصن وسرق نورها من النوار وعطرها من عطر الأزهار البيضاء .

ومن يتصفح ديوان ابن خفاجة تفوح منه رائحة الازاهير ويغرق في غمرة الألوان ويطير في فضاء من الخضرة والأشجار والروض والغدير ،فالنرجس ،والأقحوان ،والطيب وغبرها أعطرت جو الغزل والوصف أيضا فيقول :

وَغَازَلَنَا جَفنٌ هُنَاكَ لِنرجِسٍ *** وَمُبتَسَمٌ لِلأقحُوانِ شَنِيبُ[1]

وإذا وصف المرأة كأنه يصف الطبيعة :[2]

فَتقَ الشَّبابُ بِوَجنَتَيهَا وردَةً *** فِي فَرعِ إِسْحِلَةٍ تَمِيدُ شَبابَا

وَضَمَت سَوالِفُهُ جِيدَهَا سُوسَانَةً *** وَتَوَرّدَتْ أَطرَافُها عُنّابَا

ولأفضل ما قاله في الطبيعة :

فَجَنيتُ رَوضاً فِي قِناعِكَ زَاهِرا *** وقَضِيبَ بَانٍ فِي وِشَاحِكَ مُثْمِرَا

ثُمّ انْثَنَيتُ وَقَد لَبِستُ مُصنْدَلاً *** وَطوَيتُ مِن خِلَعِ الظّلامِ مُعَنْبَرَا

وَالصّبحُ مَبْطُوطُ القِنَاعِ قَدِ احتَبَى *** فِي شَملَةٍ وَرْسِيّةٍ وَتَأَزّرَا [3]

ومن مباهج الرياض التي تناولها ابن خفاجة الأزهار، فقد احتلت عنده مكانة رفيعة، فذكر أنواعها، ووصف ألوانها وصّورها وروائحها ،ولعل هذا الهُيام والاهتمام سببه غزارة المادة الطبيعية في الأندلس، فقد وصف أنواع الزهور من الريحان والورد والشقيق والنيلوفر والأقحوان ومثال ذلك قوله في الشقيق:[4]

[1] ابن خفاجة، الديوان، المصدر السابق، ص83.
[2] المصدر نفسه، ص280.
[3] المصدر نفسه، ص300.
[4] المصدر نفسه، ص355

يَاحَبّذا وَالبَرقُ يَزحَفُهُ بُكرَةً *** جَيشًا رَحِيقٍ دُونَه وحَرِيقِ

حَتى إذا وَلّى وأسلَمَ غَنوَةً ***مَاشِئتَ مِن سَهلٍ وحُزوَةٍ نِيقِ

أخَذَ الرَّبِيعُ عَلَيهِ كُلَّ ثَنِيّةٍ *** فَبِكُلّ مَرقَبَةٍ لواءُ شَقِيقِ

وصف زهرة الشقيق التي تتفتح في الصباح، كأنها جيشان من رحيق وحريق، ولونها الأحمر القاني دفع اب خفاجة إلى الإثار من إضفاء صورة الحروب عليها، مصورا الأندلس أرض جهاد وكفاح.[1]

قال ابن خفاجة في شوقه لطبيعة مسقط رأسه جزيرة "شُقْر":[2]

بَيْنَ شُقْرٍ وَمُلْتَقَى نَهْرَيْهَا***حَيْثُ أَلْقَتْ بِنَا الأَمَانِي عَصَاهَا

وَيُغَنِّي المُكّاءُ فِي شَاطِئَيْهَا*** يَسْتَخِفُّ النُهَى فَحَلَّتْ حُبَاهَا

فانْثَنَيْنَا مَعَ الغُصُونِ غُصُونَا*** مَرَحاً فِي بِطَاحِهَا وَرُبَاهَا

وفي وصفة روضة يقول:[3]

وَرَوْضَةٍ طَلْقَةٍ جَبِينَا *** غَنَّاءَ مُخْضَرَّةٍ جَنَاباَ

يَنْجَابُ عَنْ نَوْرِهَا كِمَامٌ *** تَنْحَطُّ عَنْ وَجْهِهِ نِقَاباَ

بَاتَ بِهَا مَبْسِمُ الأَقَاحِي ***يَرْشُفُهُ مِنْ طَلِّهَا رُضَاباَ

وقال يصف منتزها:[4]

خُلِعَتْ عَلَيهِ مِنْ مَاءِ الصَّبَاحِ غَلاَلَةٌ***تَنْدَى وَمِنْ شَفَقِ المَسَاءْ نِقَابُ

فِي حَيْثُ لِلرِّيحِ الرُّخَاءِ تَنَفُّسٌ *** أَرِجٌ وَلِلمَاءِ الفُرَاتِ عُبَابُ

[1] عليّ محمد سلامة، المرجع السابق، ص98.
[2] ابن خفاجة، الديوان، المصدر السابق، ص364،365.
[3] المصدر نفسه،ص339 .
[4] المصدر نفسه، ص337.

وقال:[1]

والمَاءُ أسْرعُ جَريهِ مُنحَدرا *** مُتلّوياً كَالحيّة الرَقطَاءِ

ويقول في ورقة النهر والغصون تحفة كالمقلة الزرقاء تحفها الهدب:[2]

وَغَدَتْ تَحُفُّ بِهِ الغُصُونُ كَأَنَّهَا***هُدْبٌ تَحُفُّ بِمُقْلَةٍ زَرْقَاءِ

ويقول:[3]

أَمَا وَالتِفَاتِ الرَّوْضِ عَنْ زَرَقِ النَّهْرِ***وَإِشْرَافِ جِيدِ الغُصْنِ فِي حِلْيَةِ الزّهْرِ

وَقَدْ نَسَمَتْ رِيحُ النُّعَامَى فَنَبَّهَتْ *** عُيُونَ النَّدَامَى تَحْتَ رَيْحَانَةِ الفَجْرِ

ويقول:[4]

يَانَشْرَ عَرْفِ الرَّوْضَةِ الغَنَّاءِ *** وَنَسِيمَ ظِلِّ السَّرْحَةِ الغَيْنَاءِ

هذَايَهُبُّ مَعَ الأَصِيلِ عَنِ الرُّبى***أَرِجًا وَذَلِكَ عَنْ غَدِيرِ المَاءِ

وعن منزل قاضي القضاة أبي أمية يقول:[5]

مِنْ مَنْزِلٍ قَدْ شَبَّ مِنْ نَارِ الْقِرى*** مَاشَابَ عَنْهُ مَفْرِقُ الظَّلْمَاءِ

لَوْ شِئْتُ طُلْتُ بِهِ الثُرَيَّا قَاعِداً***وَنَثَرْتُ عِقْدَ كَوَاكِبِ الجوزاءِ

وقال في صفة شجرة نارَنْج:[6]

أَلاَ أَفْصَحَ الطَّيْرُ حَتَّى خَطَبْ***وَخَفّض لَهُ الغُصْنُ حَتّى اضطَرَبْ

فَمِلْ طَرَبًا بَيْنَ ظِلٍّ هَفَا *** رَطِيبٍ وَمَاءٍ هُنَاكَ انْتَعَبْ

---

[1] ابن خفاجة ، الديوان، المصدر السابق ،ص72.
[2] المصدر نفسه، ص356.
[3] المصدر نفسه، ص23.
[4] المصدر نفسه، ص40.
[5] المصدر نفسه، ص40.
[6] المصدر نفسه، ص68.

وَجُلْ فِي الحَدِيقَةِ أُخْتِ المُنَى*** وَدِنْ بِالمُدَامَةِ أُمِّ الطَّرَبْ

وَحَامِلَةٍ مِنْ بَنَاتِ القَنَى *** أَمَالِيدَ تَحْمِلُ خُضْرَ العَذَبْ

تَنُوبُ مُوَرَّقَةً عَنْ عِذَارٍ *** وَتَضْحَكُ زَاهِرَةً عَنْ شَنَبْ[1]

وقال فيها أيضا:[2]

وَمَيَّاسَةٍ تُزْهَى وَقَدْ خَلَعَ الحَيَا *** عَلَيْهَا حُلَىْ حُمْراً وأَرْدِيَةٍ خُضْرَا

يَذُوبُ لَهَا رِيقُ الغَمَامَةِ فِضَّةً***وَيَجْمُدُ فِي أَعْطَافِهَا ذَهَبًا نَضْرَا

وقال يصفها ،ويصف الشَّرب تحتها:[3]

أَنْعِمْ فَقَدْ هَبَّتِ النُّعامى***ونَبَّهَتْ رِيحُهَا الخُزَامى

وَهَلْ إِلَى أَيْكَةٍ خَلِيلَ *** تَهْفُوا اهتِزَازًا بِهَا قُدَامَى

تَهُزُّ أَعْطَافَهَا القَوَافِي*** لَهَا وأَكْوَاسَهَا النَّدَامَى

كَأَنَّ أُمّاً بِهَا زؤُومَا *** تَحْضُنُ مِنْ شَرِبِهَا يَتَامَى

وقال يصف ثمر النارَنْج في لأغصانه:[4]

لِلهِ نُورِيَّةُ المُحَيَّا *** تَحْمِلُ نَارِيَّةَ الحُمَيَّا

والدَّوْحُ رَطْبُ المَهَزِّلَدْنُ***وَقَدْ رَفَّ رَيًّا وَطَابَ رِيًّا

تَجَسَّمَ النَّوْرُ فِيهِ نُوراً *** فَكُلُّ غُصْنٍ بِهِ ثُرَيَّا

[1] ابن خفاجة، الديوان ، المصدر السابق، ص68.
[2] المصدر نفسه، ص69.
[3] المصدر نفسه، ص69.
[4] المصدر نفسه، ص72.

وقال في صفة بطاح وظلال:[1]

سَقْيًا لَهَا مِنْ بِطَاحٍ أُنسٍ*** ودَوْحِ حُسْنٍ بِهَا مُطِلٌّ

فَمَا تَرَى غَيْرَ وَجْهِ شَمْسٍ*** أَطَلَّ فِيهِ عِذَارُ ظِلِّ

وقال:[2]

حُثَّ المُدَامَةَ فَالنَّسِيمُ عَلِيلُ *** وَالظِّلُّ خَفَّاقُ الرَّوَاقِ ظَلِيلُ

وَالنَّوْرُ طَرْفٌ قَدْ تَنَبَّهَ دَامِعٌ *** وَالمَاءُ مُبْتَسَمٌ يَرُوقُ صَقِيلُ

فَالرَّوْضُ مُهْتَزُّ المَعَاطِفِ نِعْمَةً *** نَشْوَانُ تَعْطِفُهُ الصَّبَا فَيَمِيلُ

وبهذا تشكل العمارة الأندلسية في شعر ابن خفاجة الموضوع الأبرز، فتلك الطبيعة الساحرة التي أنعم الله بها على أهل وأرض الأندلس، شكلت مادة خام للشعراء وعلى رأسهم ابن خفاجة، الذي سرح فيها طويلا ،وفي ذلك التناغم الذي أحدثه الشجر إلى جانب الماء والحجر.

[1] ابن خفاجة، الديوان، المصدر السابق، ص140.

[2] المصدر نفسه،ص254.

الخاتمة

وهب الله الأندلس طبيعة ساحرة تسحر عيون قاطنيها قبل زائريها ، وزادها سحرا ذلك التناغم بينها وبين عمّارتها من قصور ومساجد...، فقد رسم ذلك التناغم بين الحجر والشجر لوحة طبيعية رائعة متناسقة لم تكن من وحي العبث ولا العشوائية، فقد كان القصر من المعالم الجمالية التي دّلت على أذواق الأندلسيين ودرجة من ترفهم وحرص الأمراء على بناء القصور إنما كان يحمل قدرا كبيرا من مهابة الخلافة وارستقراطيتها وقد تفنن المعماريون في هندستها وتشكيلها وتزويقها بأنصع الألوان، مما جعلها منبعا لونيا يزخر بشتى الألوان في جدران القصور وأسقفها أو ما يكومن بجوارها من بساتين وحدائق تزيد من روعة الشكل الجمالي للقصر، فكانوا يدرسون طبيعة المكان الجغرافية قبل البناء وهذا دليل على مدى تقدم فن العمارة عندهم .

لقد أولى ملوك وأمراء الأندلس عناية بعّمارة المساجد ،وذلك للدّور الذي كانت تلعبه والوظائف التي كانت تشغلها من تعليم لأمور الدّين واللغة العربية ومكان للإجتماعات الحربية والقضائية فضلا عن إقامة الصلوات المفروضة والإحتفالات الدينية، وعرفت الأندلس مساجد كثيرة أبرزها مسجد قرطبة الذي يُعد تحفة فنية معمارية شيّدت على مراحل حيث تعاقب عليها ثمانية من الأمراء والخلفاء، وهو من معالم قرطبة الباقية إلى اليوم ،وتكسوا جدرانه زخارف وتوريقات نباتية وعقود من الرخام كما أُدخلت في تركيبته عناصر الخشب والفسيفساء المذهبة والنحاس والفضة والخشب، وبالأسلوب نفسه تقريبا كان حال عمارة مسجد باب المردوم بطليطلة وهو الثاني من حيث الأهمية بعد مسجد قرطبة ويتميز بقبابه التسعة القائمة على الضلوع المتقاطعة، إضافة لمسجد إشبيلية والمسجد الجامع بألمرية وكل تلك المساجد لم تخرج كثيرا عن عمارة جامع قرطبة.

وتواصلت عناية الحكام وهذه المرة مع القصور وفيها كان التنافس لتشييّد أجمل القصور ، فكان قصر الحمراء أبرزهم بما حواه من بدائع الصنع والمهارة الفنية الراقية حيث نجد الزخارف الجصّية بمختلف أشكالها الهندسية والنباتية بلغت قمتها إضافة لعنصر الرخام في العقود والخشب في النوافذ والأبواب والأسقف، إلى جانب النقوش الكتابية كعبارة "لا غالب إلا الله" وأشعار الوزير الشاعر ابن زمرك وكذا التماثيل كالتي في بهو الأسود ،وهناك قصور أخرى كقصر الإمارة والمعروف برياضه الأنيق الذي تجري المياه في كل ساحة من ساحاته في قنوات من الرصاص ، إضافة لقصر الرصافة وهو للتنزه وفيه من أنواع الغروس الكثير والغريب، إلى جانب قصر الدِّمشق المعروف بأسقفه المذهبة وإحاطة رياضه بأرضيات مرخمة وهناك أيضا قصر ابن الشالية ،وهو خارج قرطبة وقصر البرطل، وهو أقل القصور زخرفة.

ويتواصل الحديث عن العمارة، وهذه المرة عن القبور والتي كانت بسيطة البنيان في أول الأمر مرتفعة قليلا عن الأرض، ومع التطور العمراني أصبحت من الرخام الفاخر المصقول منقوش عليها اسم المتوفَى وتاريخ وفاته، وقد تكتب عليه المراثي شعرا أو نثرا ،وفي الغالب هي لسلاطين ووزراء وعلماء وغيرهم من الشخصيات المرموقة وفي بعض الأحيان تكون تلك المراثي من نظم المتوفَى نفسه كتبها قبل وفاته، وأغلبها تعبر عن اعتراف صاحبها بذنوبه وطلب المغفرة من الله والشفاعة من النبي ،كما تظهر الخوف من الله والتحسر على الذنوب، فالشعراء استثمروا فيها فراحوا ينقشون أشعارهم التي كانت شاهدا حيّا على مناقب المرثي ، فباتت كأنها معلم حضاري شاهد على من بجوفه بصفاته وانجزاته.

كانت القصور تشع وسط خضرة الطبيعة ، محاطة بحدائق غناء بألوان زاهية حركت قرائح الشعراء وأثارت أحاسيسهم فراحوا ينظمون فيها شعرا يصف بنائها وزخرفتها من الداخل كما الخارج حيث تعرضوا لوصف بهوها ومجالسها وكل ما يحيط بها من حدائق ورياض وما فيها من برك ونوافير وتماثيل ، بل وصفوا كل ما تقع عليه العين فيها مبرزين كل نفيس وغريب ، ومن هؤلاء الشعراء، عيسى بن وكيل وبن وهبون وابن حمديس وابن الجياب وابن زمرك...

ولحقت عدوى الهُيام بالأندلس وطبيعتها ابن خفاجة ، حيث تغنى بها وأشاد بجمالها وعدّها جنّة لما فيها من رياض نضرة تعانق القصور ،فقد وصفها بجميع مظاهرها ومباهجها من مياه جارة وحدائق زاهية وطيور مغردة فتصوير لها رسم منها لوحة فنية تجمع بين الحجر والشجر والماء.

فالشعراء ألموا بالأندلس وعمّارتها حتى ظّننا أنهم يبالغون، ولولا الأثار الباقية لقلنا أن ما قيل ضرب من الأساطير وليس له أصل من الصحة.

الملاحق

جنة العريف بغرناطة

طريقة لنقل المياه واستغلاله

إحدى حدائق الأندلس

قصر الحمراء

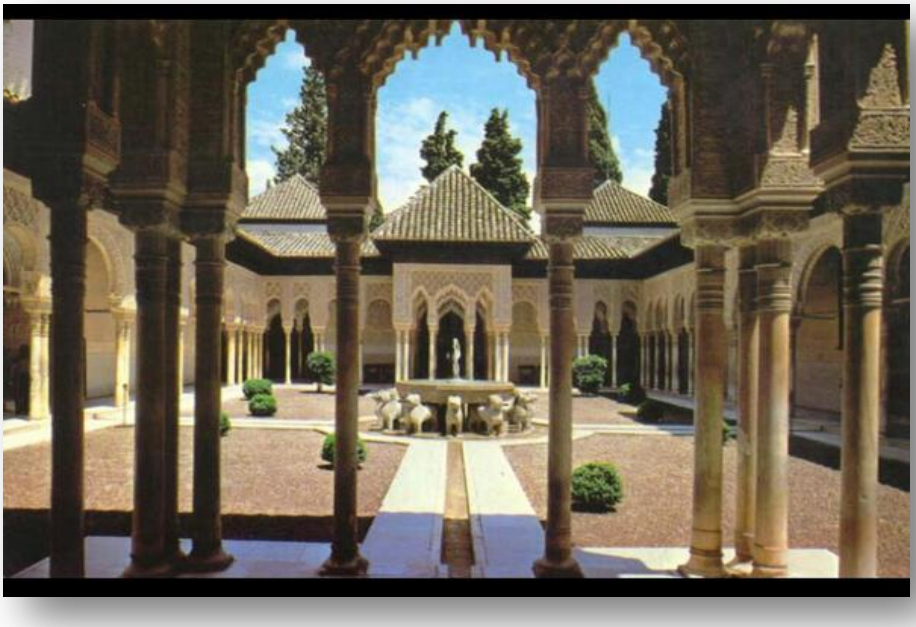

إطلالة على بهو الأسود

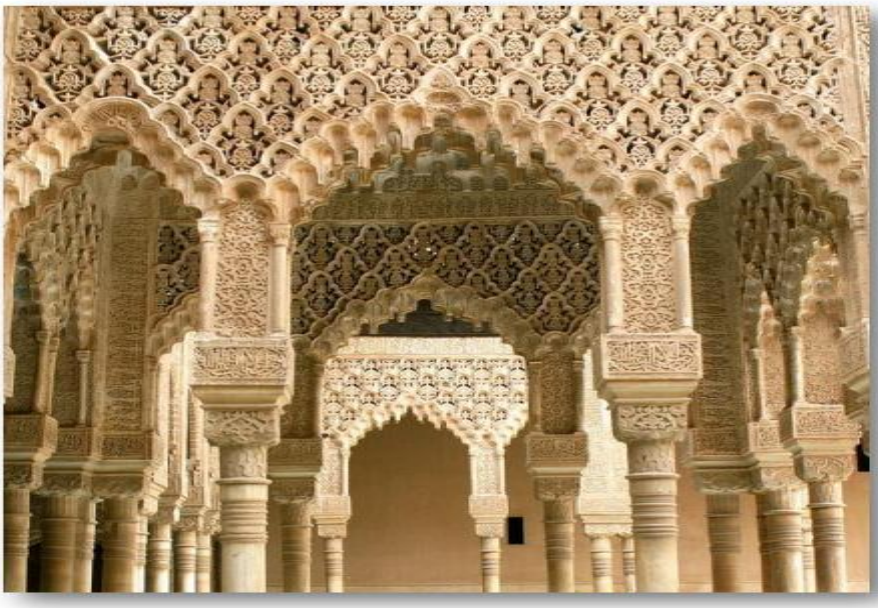

جانب من زخرفة العقود في

قصر الحمراء

النقش على العقود

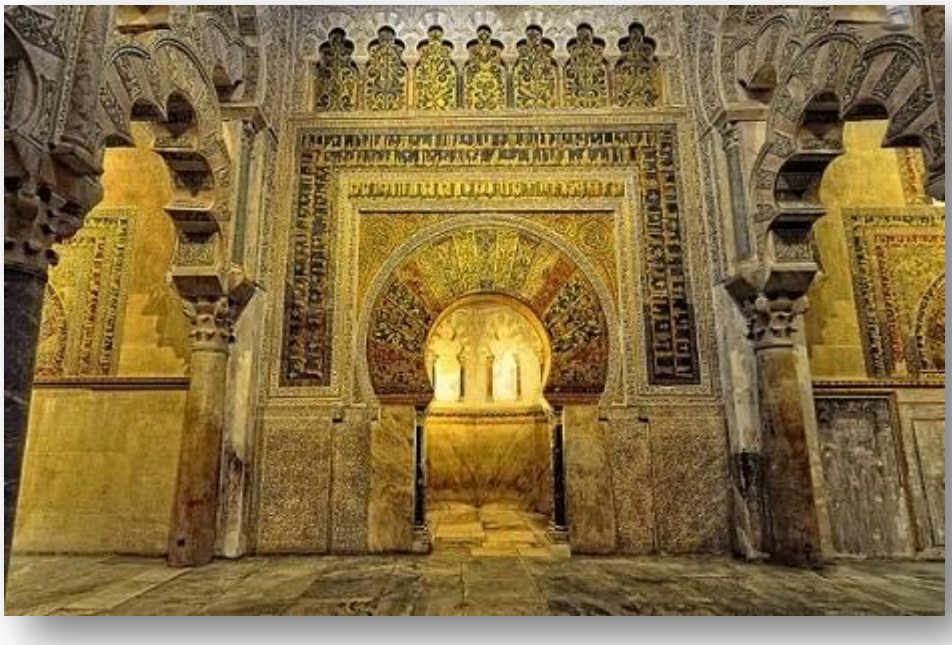

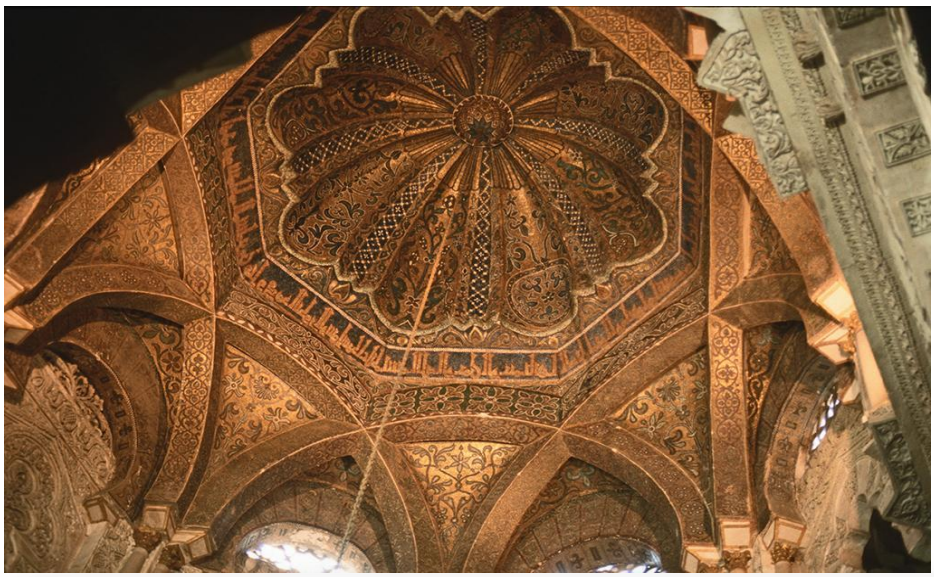

محراب وقبة جامع قرطبة

عنصر الرخام جزء من العمارة

إطلالة من داخل قصر الحمراء

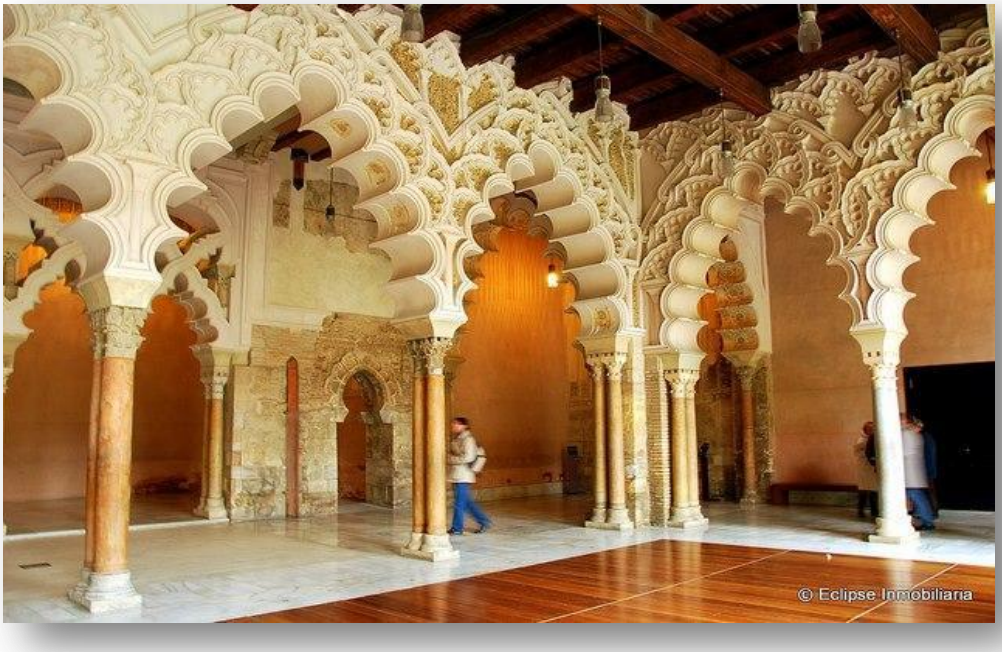

جانب من قصر الجعفرية

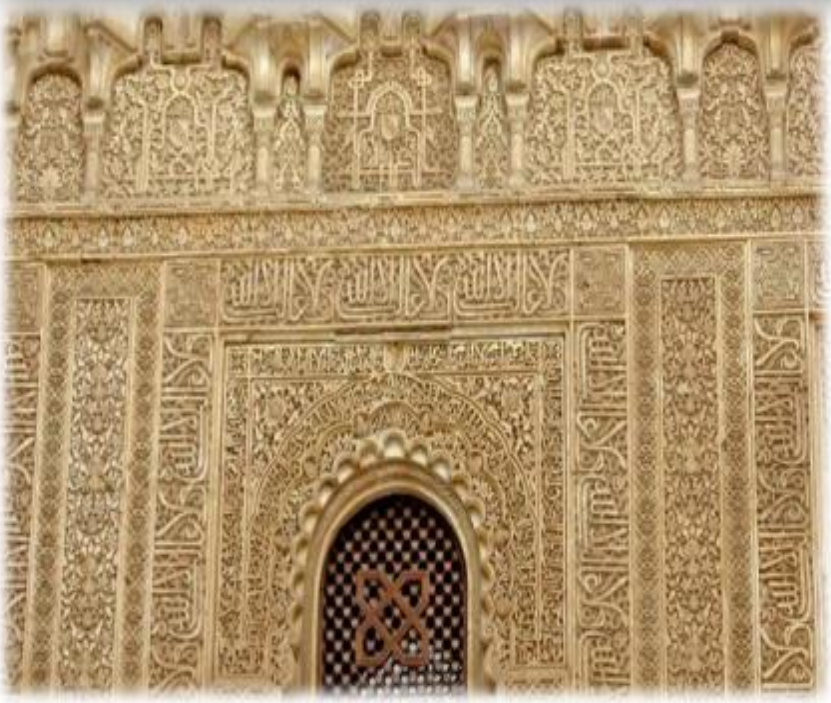

عبارة لا غالب إلا الله متكررة في
واجهة في قصر الحمراء

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

●المصادر

▪ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله الكبير ومحمد أحمد حسب الله و هاشم محمد الشاذلي، دار المعرفة.

▪ابن سعيد، المُغرب في حُلَي المَغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة 4، المجلد 2، 1993.

▪ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري)، عيون الأخبار، دار الكتب المصرية1343ه-1925م .

▪ابن بسام علي بن بسام الشنتريني(542)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: احسان عباس، دار العربية للكتاب ،طرابلس ،تونس، الطبعة 1،1975، الجزء2.

▪ابن خفاجة ،الديوان، تحقيق: مصطفى غازي ،دار المعارف، مصر، 1960.

▪ابن حمديس ،الديوان، صححه و حققه: احسان عباس، دار صادر، بيروت 1960.

▪ابن زيدون، الديوان، تحقيق: يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة2،1415ه/1994م.

▪ابن زمرك، الديوان، تحقيق: محمد توفيق النّيفر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة 1، 1997بيروت.

▪ابن فركون، الديوان، تحقيق: محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الطبعة1، 1407ه-1987م.

▪ ابن الحداد، الديوان، تحقيق: يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، الطبعة 1،بيروت، لبنان،1990.

▪ابن القوطية، تاريخ إفتتاح الأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس، مطبعة بيروت 1958 .

▪التطيلي، الديوان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة 1، م1963.

▪الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان(529ه) ،قلائد العيقان ومحاسن الأعيان، تحقيق: حسين يوسف خربوش، مكتبة المنار، الطبعة 1 ،الأردن، 1989 .

▪السيوطي(جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار الفكر، القاهرة، الطبعة2 ، المجلد1.

▪المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، الجزء 1 .

▪الأصبهاني عماد الدين، خريدة القصور وجريدة أهل العصر، تحقيق: عمر الدسوقي وعليّ عبد العظيم، دار نهضة مصر، الفجالة، مصر،1964م .

▪لسان الدين الخطيب، اللمحة البدرية، تحقيق: محب الدين الخطيب، طبعة المطبعة السلفية 11347ه القاهرة المجلد 1 .

▪ لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر، الطبعة 2 ، 1393ه/1973م ، القاهرة، المجلد 1 .

▪لسان الدين الخطيب ،الديوان، تحقيق محمد مفتاح، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1904ه/1989م.

●المراجع

▪إيمان الجمل، فن الرقوش في الشعر الأندلسي- العصر الغرناطي نموذجا- ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية.

▪الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية، 1997.

▪ النقراط علي محمد، ابن الجياب الغرناطي-حياته وشعره-الطبعة1، بنغازي، الدار الجماهيرية.

▪حمدان حجاجي، باقة من شعر ونثر الجنان ابن خفاجة، المنشورات الجامعية والعلمية ،باريس 1983م.

▪حسين يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي(138-422ه/755-1030م)، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، الطبعة1، 1414ه-1994م.

▪محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، دار الرشيد للنشر، بغداد1980.

▪محمد الجمل، قصور الحمراء-ديوان العمارة والنقوش العربية، مكتبة الإسكندرية 2004م.

▪محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، الأثار الباقية في اسبانيا والبرتغال، مكتبة الخانجي للنشر ،الإسكندرية، الطبعة الثانية،1917ه/1997 م.

▪محمد بن عمار الأندلسي، حياته وشعره، مطبعة الهدى، بغداد 1957م.

▪سلمى الخضراء الجيوسي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس-التاريخ السياسي، الأقليات، المدن الإسلامية، اللغة الأدب والموسيقى-، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة 1،1998 بيروت، الجزء 1.

▪سامي مكي العاني، دراسات في الأدب الأندلسي، الجامعة المستنصرية، 1978.

▪سالم عبد العزيز ،قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس -دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية للطباعة، الجزء 2.

▪سالم عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس-من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار المعارف لبنان 1962م.

▪ سالم عبد العزيز، المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع 1998، الإسكندرية.

▪عليّ محمد سلامة، الأدب العربي في الأندلس-تطوره، موضوعاته، وأشهر أعلامه، الدار العربية للموسوعات، الطبعة1، بيروت لبنان 1989.

▪عبدالله بن علي بن زيدان ومحمد صلاح السيحباني، الأندلس- قرون من التقلبات والعطاءات-مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض ،الطبعة1، 1417ه/1996م.

▪صلاح جّرار، قراءات في الشعر الأندلسي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان ،الأردن، الطبعة1، 1427ه-2007م.

▪ صلاح جّرار ، ديوان الحمراء، الأشعار العربية المنقوشة في مباني قصر الحمراء وجنة العريف بغرناطة، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، المجلد2.

▪راغب السرجاني، قصة الأندلس-من الفتح إلى السقوط-، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة القاهرة 2010، الطبعة 1، 1432ه-2011م،الجزء1.

المراجع الأجنبية

▪شاك فون، الفن العربي في اسبانيا وصقلية، ترجمة: الطاهر مكي، دار المعارف، القاهرة 1980.

المذكرات

▪العبدلات فاطمة، شعر الرثاء في الأندلس في ظل بني الأحمر، رسالة ماجستير، عمان ،الأردن، الجامعة الأردنية2002.

المجلات

▪أبي بكر بن الملح، مجلة الجامعة الاسلامية، المجلد التاسع، العدد الأول، الصفحة 311-338، 2001

الفهرس

فهرس الموضوعات

الإهداء

مقدمة:.....01

مدخل:..... 09-05

- المولد والنشأة:.....05
- ثقافته :.....06
- شاعريته :.....06
- الأغراض الشعرية:.....07
- أسلوبه :.....09

❖ **الفصل الأول:** التراث المادي في الأندلس.....29-11

- المساجد:.....11
- القصور:.....18
- القبور :.....26

❖ **الفصل الثاني:** العّمارة الأندلسية في الشعر الأندلسي.....44-30

- وصف البناء الخارجي للقصور:.....30
- وصف البناء الداخلي للقصور:.....41

❖ **الفصل الثالث:** العّمارة الأندلسية عند ابن خفاجة.....53-45

- وصف الرياض:.....45
- وصف الدار:.....

خاتمة:.....54

الملاحق:.....56

قائمة المصادر والمراجع:.....64

فهرس الموضوعات :.....68